فريدريك نيتشه فيلسوفا ومربيا

أ.د. عبد المجيد عبد التواب شيحة
أستاذ أصول التربية
كلية التربية - جامعة قطر

أولاً : مقدمة :

كان فريدريك ويلهلم نيتشه شاعرا، وموسيقارا، وناقدا اجتماعيا، وعالما لغويا، وكاتبا رمزيا، وعالم نفس، وفيلسوفا، ومربيا. يقول عنه "رايت" Wright (١٩٤٢، ص ٣٨٤) : هو "شاعر، وموسيقار، وكاتب مقال، ولغوي كلاسيكي ، وفيلسوف " ويقول عنه محمد المسير (١٩٨٤، ص٤١٥) : هو " أديب ثائر له فكر الفيلسوف وخيال الشاعر". ويعتبر كتابه " هكذا تكلم زرادشت" (١٩٠٥) أعظم ما كتب من وجهة النظر الفلسفية والأدبية والتربوية . ففي هذا الكتاب يعرض نيتشه فلسفته في رمزية غامضة تتحدى القارىء أن يبلغ إلى تفسيرها أو يقدر مبلغ الحق فيها، ويقدم هدفه التربوي الذي يتمثل في الإنسان الأعلى، ويضع ملامح برنامج تربوي يعين على تحقيق هذا الهدف. ولا تقل أعماله الأخرى إثارة ، وإن كانت أكثر انفتاحاً للفهم. يقول محمد المسير (١٩٨٤، ص ٤١٨) : " يعتبر كتاب "هكذا تكلم زرادشت" إنجيل فلسفة نيتشه... رغم غموضه، ورمزيته، واستطراد حواره، وتعقيد مواقفه" وقد عرف نيتشه نفسه أهمية كتابه فقال عنه (نقلا عن كامل عويضه ، ١٩٩٣، ص٢٠) : "إن هذا الكتاب (يريد هكذا تكلم زرادشت) درة وحيدة يعجز عن الإتيان بمثله الشعراء، ولا شيء يساويه في سحر ألفاظه وعمق أفكاره، ولو جمعنا كل ما شاهده العالم من خير وروح في أعاظم الرجال، لما استطاعوا جميعهم أن يأتوا بحديث واحد من أحاديث زرادشت".

ولم يكن نيتشه فيلسوفا مذهبيا، بل كره المذهبية، والعقلانية ، والاتساق والنظام، فاشتلمت كتاباته على أنصاف حقائق أو أنصاف أخطاء، غير أنه كان أكثر إثارة من معظم الفلاسفة المذهبيين، ولا يكاد يقرأ أحد أعماله دون أن يفكر فيها تفكيراً عميقا. ويذهب يسرى إبراهيم (١٩٩٠،ص٤٥) إلى أن نيتشه كره الأنساق الفلسفية " لعنايتها بالترابط المنطقي وإغفالها للواقع. فالواقع مراوغ وفوضوي، ولا يناسب أي نسق". ولعل هذا ما يفسر موقف نيتشه من النزعة العقلية الغالبة على الفلسفات التقليدية التي حاولت جعل الحقيقة كلها في متناول الإنسان. وفي كتابه "الفلسفة في العصر المأساوي الأغريقي" (١٩٨٣) يعتبر نيتشه الفلاسفة السابقين على سقراط فلاسفة هجناء، بما في ذلك أفلاطون. يقول نيتشه (ص٤٣): " إن أفلاطون نفسه يتسم بكونه أول هجين كبير". ويتمثل سر عظمة الإغريق الأوائل - في رأيه - في محبتهم للحياة. يقول نيتشه (ص٤٢):" إن حكم هؤلاء الفلاسفة على الحياة والوجود (يريد الفلاسفة السابقين على سقراط) غنى بالمعاني، لأن الحياة التي شهدوها كانت ذات امتلاء مفرط". ولقد أصبحت الحياة أو محبة الحياة هي المبدأ الذي يبدأ منه نيتشه فلسفته، والمعيار الذي يحكم به على الفلسفات والمعتقدات والأفكار .

ولم يقدم نيتشه بناء فلسفيا شامخا بل قدم أفكارا متناثرة، وحكما مبعثرة، وقصائد شعرية، وأحاديث رمزية، تفتقر إلى النظام وتوهم بالتناقض، ولا يكاد القارىء يدرك الارتباط بينها إلا بإعمال العقل، وكد الذهن، والقراءة المتأنية لكل أعماله. يقول يسرى إبراهيم (١٩٩٠،ص٤٥) : "إنه (يريد نيتشه) يقدم مجموعة من الأفكار تترابط فيما بينها ... ولكن القالب أو الإطار الذي تتبدى فيه هذه الأفكار يفتقر إلى النظام ، وتدب فيه الفوضى". وترجع صعوبة قراءة نيتشه إلى تناقض عباراته، فكل فكرة من أفكاره لها ما يناقضها في بعض أعماله، وإلى طريقة استخدامه للكلمات، فهو يستخدم الكلمة في سياق لتشير إلى معنى غير المعنى الذي تشير إليه خارج السياق؛ وإلى تعمده الغموض، فهو لا يكتب للقارىء العادي، بل إلى فئة خاصة

يناديهم في كتاباته بعبارات مثل : يا رفاقي، ويا إخواني، ويا تلاميذي، ويا أصدقائي، يقول راسل (١٩٤٥،ص٧٦٢) : كان نيتشه "مغرما بالتعبير عن نفسه على نحو متناقض وصدم القراء التقليديين".ويقول نيتشه (١٩٠٥، ص٣٩) :" من يكتب بدمه يريد قراء مجتهدين.. إنني أكره كسالى القراء... إن أقصر طريق في الجبال هو الطريق الذي يمتد بين القمم، ولكن من يجتاز هذا الطريق يجب أن يكون طويل السيقان. والحكم يجب أن تكون قمما، وتخاطب الكبار والطوال". ومعنى ذلك أنه لم يكتب لكل الناس، وإنما للخاصة. ويمكن التغلب على مشكلات التعبير عند نيتشه بالمقارنة النقدية للعبارات وثيقة الصلة بأي موضوع يتناوله. ويقول "هوى" Howey (نقلا عن يسرى إبراهيم، ١٩٩٠،ص ص ٤٥-٤٦): من الواجب على قارىء نيتشه " أن يفكر مليا في كل ملاحظة ، ليس فقط بالنسبة لسياقها الفعلي داخل الكتاب (الواحد) بل أيضا بالنسبة لسياق كل أقواله الأخرى في نفس الموضوع ... فالعبارات المتناقضة إذن لن تكون مصدرا للغموض، ما دمنا ندرس كتابات نيتشه كلها دراسة متكاملة، ونربط بينها ربطا وثيقاً".

ولقد أحدث نيتشه ثورات عظيمة في مجال الفكر الإنساني وبخاصة في الدين والأخلاق، والفسلفة ، والسياسة والاجتماع، والتربية، وبشر بثقافة جديدة وإنسان جديد. يقول مصطفى غالب (١٩٨٣، ص٦) :" لقد كان نيتشه صاحب رسالة حضارية... رسالة ناقد ومقوم للحضارة التي عاشها". ويقول بيار هيبر سوفرين (١٩٩٤،ص٣٥) : قدم نيتشه زرادشت "باعتباره مبشرا بانعطاف ثقافي كامل، وبنى حضارة جديدة لا إغريقية ولا نصرانية، بل حضارة جديدة بصورة جذرية". لقد أدرك نيتشه تضاؤل اهتمام العالم الغربي بالنصرانية فأعلن موت الرب ، وكان موت الرب حدثا لاحظه في ثقافة القرن التاسع عشر، حيث ضاقت مكانة الرب فاختفى شيئا فشيئا من حياة الناس، وبخاصة بعد الثورة الفرنسية ، والثورات العلمية والصناعية، ثم فكر في النتائج الدينية والخلقية والفلسفية التي ترتبت على هذا الحدث الجلل. إن

موت الرب كان موتا للآخرة، وإلغاء للإيمان بعالم آخر، وإنكارا للإزدواجية الثقافية. وأنكر نيتشه الأخلاق القائمة على أساس الدين أو العقل لأنها تبخس قيمة الهنا، وترفع قيمة الهناك، ودعا إلى أخلاق تقوم على أساس الحياة والطبيعة الإنسانية. فالحياة في رأيه قوة، والطبيعة الإنسانية تسعى إلى القوة، وبالتالي يجب أن تكون القوة أساسا للأخلاق ، ومن ثم دعا إلى فلسفة القوة، وأطلق عليه كامل عويضه (١٩٩٣) نبي فلسفة القوة، وهو العنوان الفرعي لكتابه "فريدريك نيتشه : "نبي فلسفة القوة" وقسم نيتشه الأخلاق قسمين : أخلاقا للضعفاء ، وأخلاقا للأقوياء، ثم قوض دعائم أخلاق الضعفاء وما يؤيدها من اتجاهات دينية وعقلية، وديمقراطية واشتراكية، وتبنى الدعوة إلى أخلاق السادة، وأخلاق الأقوياء والإنسان الأعلى وما يؤيدها من قيم الرجولة والقوة والشجاعة والأرستقراطية . فما قصة هذا العبقري الثائر، وما ظروف نشأته ؟

ثانياً : صلة حياة نيتشه بفكره :

لا نستطيع أن نفهم كثيرا من تعاليم نيتشه ومعتقداته الفلسفية والخلقية والتربوية بمنأى عن تاريخ حياته. يقول هيمان Hayman (١٩٨٠،ص١) : " إن أي تقرير عن معتقدات نيتشه لا يكون مناسبا ما لم يرتبط بتاريخ حياته : فمعتقداته تغيرت بسبب نموه أكثر من أي كاتب آخر، ولا يمكن فصل فلسفته عن صداقاته، ومنازعاته، واعتلال صحته، وإحباطاته، ومراسلاته، ومحاضراته". ويقول مصطفى غالب (١٩٨٣،ص٥) : " امتزجت فلسفة نيتشه بحياته، وأصبحت جزءا لا يتجزأ منها : غاص في أعماق الحكمة فتفلسف في كيانه ووجوده... واستمد آراءه ونظرياته من أعماق تفاعلاته النفسية، ومن وجوده الشخصي" ويضيف (ص٣٤) : " إن فلسفة نيتشه كانت تجسيدا لحياته وواقعه وتفاعلاته العقلانية الذاتية" وليس حقا ما يدعيه فؤاد زكريا (١٩٩١، ص ص ١٨-١٩) من أن نيتشه "جعل فكره حيا عن طريق إثراء الفكر... لا عن طريق إثراء الحياة واستخلاص الفكر من حكمة تجاربها. وهو لم

يقف أمام الحياة وجها لوجه بل وقف أمام أفكار ومشاكل أحياها ذهنه، وحلت لديه محل الواقع المباشر الذي نتعامل معه في تجربتنا الحية". حقا إن نيتشه طبق معرفته لذاته على الحركات والأحداث الاجتماعية في عصره، واستخدم تحليله لحاجاته - وبخاصة فيما يتعلق باثبات الذات، والانتقام، وعبادة البطولة - في فهم كثير من الأشخاص والأحداث. وليس معنى ذلك أن إدراكه كان مشوها، بل على العكس كان إدراكه للا منطقية وعيه مدعاة لمعرفة وظائف وعي الآخري. إنه أدرك أن كثيرا من الجوانب الإنسانية لا يتحدد بالحق والمنطق، بل بالمزاج، والطموح ، والمصلحة، والأحداث الشخصية ، ومن ثم أقام نظريته في المعرفة الإنسانية لا على أساس الحق، بل على أساس البطلان أو قل الأخطاء التي أعانت الإنسان على العمل والحياة والتكيف. إن فؤاد زكريا يذهب إلى أن فكر نيتشه ليس مستمدا من حياته، بل إن حياته مستمدة من تفكيره، ويستدل على ذلك بقوله (ص١٩): "كانت الفكرة الواحدة لديه قادرة على أن تبعث فيه الغضب والثورة أو الراحة والسرور، وكل المشاعر التي لا تبعثها فينا عادة إلا المواقف الواقعية الحية " إننا لا ندرك الواقع باعتباره واقعا، بل بالحرى جملة من التصورات والإحساسات التي تعتبر موجهات للسلوك. أما الواقع باعتباره واقعا فلا يتسنى لنا إدراكه، إننا ندرك من الواقع فقط جوانب الواقع التي نريد إدراكها، وهذه الجوانب تدرك باعتبارها تمثلا . أما الواقع في ذاته فلا يمكن أن يكون موضوعا للإدراك ، ومن ثم قال شوبنهور (نقلا عن عبد الرحمن بدوي، ١٩٤٢، ص٧١): "العالم من امتثالي" ويذهب عبد الرحمن بدوي(ص٧٢) إلى أن شوبنهور جعل نقطة البدء في فلسفته "إن العالم ارادة" ، واستدرك قائلا " أستغفر الله ! بل في كل مذهب يمكن أن يقول به إنسان ". ويذهب كاتب هذه السطور إلى أن وقائع حياة نيتشه كان لها أثر بالغ في فكره ، بل ان فكره كان رد فعل مباشر لوقائع حياته. والأمثلة على ذلك كثيرة أذكر منها ما يلي : إن نيتشه تبنى فكرة موت الرب، وحمل على الأخلاق حملة شعواء، لأنه كان سليل أسرة دينية، ونشأ في جو بيوريناني صارم،

ودعا إلى فلسفة القوة لأنه تربى في بيئة نسائية تألفت من أمه وعماته، وأختيه بعد فقده لأبيه، ولأنه كان عليلاً لم يسلم موضع في جسده، ولم يستطع القيام بواجبات الجندي بعد سقوطه عن فرسه. ولعل في هذا ما يبرر إيراد بعض الوقائع التي نعتقد أنها أثرت في حياته، وطبعت فلسفته بطابعها الخاص .

ثالثاً : بعض وقائع حياته :

ولد نيتشه في مدينة روكن في بروسيا في الخامس عشر من أكتوبر عام أربعة وأربعين وثماني مائة وألف، وصادف يوم مولده عيد ميلاد فريدريك غليوم الرابع ملك بروسيا، فأطلق عليه والده اسم الملك تيمناً (مصطفى غالب،١٩٨٣، ص١١)، كما أطلق أسماء بنات الملك الثلاث على إليزابيث ابنته الوحيدة (Wright, 1942, p.385) وكان أبوه أسقفا لمدينة روكن الواقعة في مقاطعة سكسونيا البروسية، وكان على خلق وقدرة، واشتغل مربيا خاصا لبنات الملك . وكان أجداده لأبيه وأمه من رجال الدين، وكانت زوجاتهم أصوليات ومتطهرات. يقول مصطفى غالب (١٩٨٣،ص١١):"والجدير بالملاحظة أن أسرة نيتشه وأجداده لأبيه من رجال الدين، وشغل كثير من أفراد عائلة أمه مناصب دينية، ولذلك لعب الدين دورا هاما في طفولته، وانعكس هذا على حياته المستقبلة، فوجه إلى الدين أعنف الانتقادات" ويقول محمد المسير(١٩٨٤،ص٤١٥) عنه "هو ينحدر من أصلاب لها تاريخ في خدمة الكنيسة، فأبوه قسيس، وأجداده لأبيه وأمه قساوسة ورجال دين" ويقول ديورانت (١٩٨٥، ص٥٠٧) : " كان والد نيتشه قسيسا، وكان معظم أجداده من أمه وأبيه من رجال الدين، وبقى هو نفسه مبشرا ونذيرا إلى النهاية . لقد هاجم المسيحية لأن فيه كثيرا من روحها الأخلاقية .وكانت فلسفته محاولة لموازنة المسيحية وإصلاحها . كانت أمه تقية ورعة متمسكة بأهداب الدين، من نوع والدة "عمانويل كانت"... وهذا هو السبب في هجومه على التقوى والورع والطهارة ، فقد تاقت نفس هذا القديس الورع إلى ارتكاب خطيئة " ومات أبوه في الوقت الذي بلغ فيه نيتشه سن الرابعة أو الخامسة ، فأشرف على تربيته جماعة من

النساء التقيات الورعات هن أمه، وجدته لأبيه، وعمتاه، اللاتي حرصن على إدارة البيت بحزم على أساس ديني متزمت، وأردن لنيتشه أن يكون واعظا كأبيه وأجداده . ومن ثم كانت استجابة نيتشه لهذه التربية مفهومة. فقد كره أن يطلق عليه زملاؤه في المدرسة اسم القسيس الصغير، على الرغم من أن أخلاقه وسلوكه يبرران تلك التسمية. ومع نمو قدراته النقدية أدرك الصعوبات العقلية المتضمنة في الإيمان الساذج لأمه وجدته فاتجه الاتجاه المعاكس، ورفض النصرانية وحمل حملته العنيفة على النساء فيما بعد .

وفي الرابعة عشرة من عمره التحق نيتشه بمدرسة داخلية شهيرة هي مدرسة بفورتا، وخضع فيها لنظام عقلي صارم يعلي من شأن الكلاسيكيات ، والدين ، والأدب الألماني ، فوقع تحت تأثير العبقرية الإغريقية . وقد وصف هيمان Hayman (١٩٨٠، ص ص ٢٧-٢٨) نظام الدراسة في تلك المدرسة على النحو التالي : " كان التلاميذ مبتوتي الصلة بالعالم الخارجي، ولم يسمح لهم بقراءة الصحف اليومية لأن النظام كان معنيا بغمسهم في الماضي الكلاسيكي ، فدرسوا الإغريقية ست ساعات أسبوعيا ولمدة ست سنوات، ودرسو اللاتينية إحدى عشرة ساعة أسبوعيا خلال ثلاث السنوات الأولى من الدراسة، ولمدة عشر ساعات خلال ثلاث السنوات الباقية. وكان هدف المنهج جعل التلاميذ على ألفة باللغتين الإغريقية واللاتينية قراءة وكتابة ومحادثة". وجاء في أحد خطاباته لأمه (٩أكتوبر ١٨٥٩) أنه ينقل في وقت فراغه "كل ما يسمعه أو يقرأه إلى اللاتينية ، ويحاول أن يفكر باللاتينية" وفي مدرسة بفورتا التحق نيتشه بجماعة المنشدين، إذ يقول في أحد خطاباته لأمه وأخته (٢١ أغسطس ١٨٥٩) : " أغنى مع جماعة المنشدين في الكنيسة، وأذهب معها إلى البرج، واستمتع بحسنات وسيئات المنشد" ، وفي مدرسة بفورتا أسس نيتشه ناديا أدبيا وعلميا بالاشتراك مع صديقيه ولهلم وجوستاف، وأطلقوا عليه اسم "جرمانيا"، واقتضى دستور النادي أن يقدم كل واحد منهم قصيدة أو مقالة أو قطعة موسيقية كل شهر، ويكتب كل واحد منهم ست مقالات تدور اثنتان منها حول قضية معاصرة. يقول هيمان

Hayman (١٩٨٠، ص٤٥) :" ألقى نيتشه مقالة على النادي الأدبي والعلمي بعنوان" القدر والتاريخ" ظهر فيها اتجاهه الدارويني، ثم قرأ مقالة أخرى بعنوان "حرية الإرادة والقدر" أكد فيها أن الحرية المطلقة تجعل من الإنسان إلها ، بينما يجعله المبدأ القدري آلة". وهكذا كان لنظام الدراسة المتبع في مدرسة بفورتا، وللأنشطة الأدبية والعلمية للنادي الأدبي والعلمي تأثير حاسم في تكوين نيتشه وتوجيه ميوله وتحديد مستقبله .

ونظرا لمواهبه غير العادية استطاع نيتشه أن يحصل على منحة دراسية لدراسة علمي الدين واللغة في جامعة بون ، وحظى بإيثار عالم اللغات الكلاسيكية "فريدريك ريتشل" ، الذي حبب إليه دراسة الأدب الإغريقي واللاتيني وعلم اللغة. ولم يمكث نيتشه في جامعة بون أكثر من عام واحد، ثم غادرها إلى جامعة ليبزج ليلحق بأستاذه ريتشل. ولقد أعانه ريتشل على نشر بعض مقالاته، وزكاه للحصول على منصب محاضر في علم اللغة الكلاسيكي في جامعة بازل بسويسرا. يقول راسل Russell (١٩٤٥، ص ٧٦٠) : " كان نيتشه عبقريا في الجامعة باعتباره كلاسيكيا وطالب علم اللغة، لدرجة أنه منح منصب أستاذ اللغة قبل أن يتخرج في الجامعة"، وبينما كان نيتشه طالبا في جامعة ليبزج اشترك في النادي الفلسفي الذي يوجد في الجامعة، وحاضر في اجتماعه الثاني عن قصائد ثيوجنيز Theognis ، وقرأ كتاب شوبنهور "العالم إرادة وتمثل"، وعبر عن أفكار الكتاب في خطابه لأمه وأخته (٥ نوفمبر ١٨٦٥) ، والتحق نيتشه بالجيش وهو طالب بالجامعة، ودخل فرقة المدفعية التي اعتبرت من أصعب الفرق ، على الرغم من قصر نظره. وكان النظام المتبع في فرقة المدفعية صارما، فالجنود يتدربون على أرض العرض، وعلى ظهور الجياد، وعلى مدى المدافع، ويتدربون على كيفية التعامل مع المدافع التي تجرها الجياد، وتنظيف المدافع والجياد. وكان الدوام من السابعة صباحا حتى السادسة مساء، ولا يتخلله سوى نصف ساعة فقط لتناول الغذاء. ولقد وصف نيتشه تلك الحياة العسكرية الصعبة في خطاب

لصديقه روده Rohde (٣نوفمبر١٨٦٧) وبالرغم من صعوبة النظام أصبح نيتشه أفضل جماعة الفرسان التي تألفت من ثلاثين شخصا. يقول نيتشه في خطاب لصديقه روده (٣ أبريل١٨٦٨) " لقد امتدح الضباط ركوبي وجلوسي في السرج، وتوقعوا أن أبلغ إلى رتبة كابتن" ، ولكن قصر نظره لم يعنه على تقدير المسافات جيدا، فسقط عن جواده وهو يحاول امتطاءه، فكسرت عظمتان من عظام صدره لاصطدامه بالطرف المرتفع من السرج، وبالرغم من اصابته وراثيا بالزهري فقد برئت جروح صدره، غير أنها تركت فيه آثارا غائرة. وحينما عاد نيتشه إلى جامعة ليبزج بعد تسريحه من الجيش لم يعد يفكر في نفسه باعتباره طالبا، بل بالحرى محاضرا، ويبدو ذلك من خطابه لصديقه روده (٩ نوفمبر١٨٦٨) يقول فيه : " لقد مر أكثر من عام بعد أن تخلصت من الحالة غير المحتملة (يريد إصابة صدره) وأنا الآن أفكر في نفسي باعتباري محاضرا مستقبليا في ليبزج ، وأنظم حياتي وفقا لهذا المقصد". وفي هذه الفترة أراد نيتشه أن يحقق قدراً من الاتزان بين انتماءاته الفلسفية واللغوية. يقول نيتشه في أحد خطاباته إلى صديقه دوسن Deussen (١٥ اكتوبر ١٨٦٨): " إنه يؤثر الفلسفة على اللغة ، ويعتبر اللغة بنتا مشوهة للفلسفة".

وحينما وقعت الحرب الفرنسية البروسية عام١٨٧٠ كان نيتشه مواطنا سويسريا، وبالتالي لم يستطع أن يخدم في الجيش الألماني مقاتلاً، فالتحق بخدمة الإسعاف ، وعمل بجد بالغ في نقل المصابين وعلاجهم . وأدت كثرة العمل والإرهاق الشديد إلى إصابته بالزحار والدفتيريا، فاضطر إلى التقاعد مرة ثانية. يقول رايت Wright (١٩٤٢، ص ٣٨٦) : " من المحتمل أن رؤيته للمعاناة الشديدة للجرحى الذين قام على تطبيبهم سببت له صدمة عصبية لم يبرأ منها ، وبخاصة لأنه عاد إلى الجامعة وقام بواجبات الأستاذية في جامعة بازل قبل أن يكون مناسبا صحيا للقيام بتلك الواجبات. وفيما بعد عانى نيتشه من آلام في العينين ، وصداع شديد، وأرق ، وعسر في الهضم، ولكنه ظل يدرس حتى أجبرته صحته العليلة على التقاعد من

الأستاذية عام ١٨٧٩". ولقد ذكر نيتشه في خطاب لأستاذه ريتشل (١٠مايو١٨٦٩) طرفا من واجباته الأكاديمية الكثيرة في جامعة بازل، إذ يقول : إنه " كان يدرس ستة أيام في الأسبوع من السابعة صباحا، ويعقد سيمينارا في اليوم السابع. وكان حريصا على مزج تدريسه اللغوي بالفلسفة، والعمل على زيادة حساسية طلبته للفلسفة. وكان يناقش طلبته، ويكلفهم بأعمال تعرض في الفصل". ونتيجة لاعتلال صحته وكثرة واجباته استقال نيتشه وهو في الرابعة والثلاثين من عمره، وأخذ يجوب أوربا محاولا استرداد صحته، فزار سويسرا وإيطاليا وألمانيا، وتفرغ للكتابة والتأليف. يقول ستومب Stumpf (١٩٧٧، ص ص٣٨٦-٣٨٧) : (بالرغم من اعتلال صحته ألف نيتشه في الفترة من ١٨٨١-١٨٨٧ عدة كتب مثل "فجر اليوم" و "الحكمة السارة" و"هكذا تكلم زرادشت" و"بمعزل عن الخير والشر" و"أصل الأخلاق" ، وحينما شعر بتحسن في صحته عام ١٨٨٨ ألف في ستة أشهر خمسة من بين أعظم كتبه هي " قضية فاجنر" و"أفول الأصنام" و"عدو المسيح" و"ها هو الرجل" و" نيتشه ضد فاجنر"). ومما يؤسف له أن تلك الكتب لم تحظ باهتمام القراء إلا بعد إيداع نيتشه في مصحة عقلية عام ١٨٨٩. يقول رايت Wrigh (١٩٤٢، ص٣٨٧) : " بدأت كتابات نيتشه تلفت الانتباه بعد مرضه، وأصبح منذ ذلك الحين من أكثر الفلاسفة شهرة" .

وكان لصلة نيتشه بفاجنر أثر بالغ في حياة نيتشه ، فلقد اعجب نتيشه بموسيقى فاجنر، والتقى الرجلان على الإعجاب بفلسفة شوبنهور، وتفسيره للحياة والعالم. يقول فؤاد زكريا(١٩٩١،ص٢٧): "وجد نيتشه في فاجنر فنانا أحيا آراء شوبنهور النظرية، وحققها عمليا، ووقفت لديه الموسيقى مع الفكر جنبا إلى جنب، واجتمع الشعر والنغم في دراماته الموسيقية على نحو يذكره بما كان في التراجيديا اليونانية من فن متكامل" وكانت صلة نيتشه بفاجنر وثيقة جدا إلى الحد الذي اعتبر نيتشه نفسه أحد أفراد أسرة فاجنر . ولقد أحب نيتشه فاجنر حبا شديدا - يقول نيتشه في خطاب لصديقه ارڤن روده (١٦ يونيو١٨٦٩) : " حينما نكون معا لا

نكون في ثنائية ، بل في وحدة حقيقية" ويقول في خطاب لجير سدورف Gersdorff (٤ أغسطس ١٨٦٩) : " إنني معه (يريد فاجنر) أشعر بالحضرة الإلهية " وتحت تأثير فاجنر ألف نيتشه كتابه الأول "ميلاد المأساة من روح الموسيقى "حاول فيه الإهتداء إلى العلاقة بين الدراما الفاجنرية والمأساة الإغريقية ، ويدعو فيه إلى نهضة شاملة تعتمد على موسيقى فاجنر وفلسفة شوبنهور. ولم يدم التفاهم طويلا بين الرجلين، وقدم الباحثون تفسيرات كثيرة للقطيعة بينهما. ومن ذلك ما أورده مصطفى غالب (١٩٨٣) من وجود أسباب شخصية وأسباب موضوعية لتلك القطيعة . فالأسباب الشخصية هي محبة نيتشه لزوجة فاجنر، واعتقاده أن فاجنر لا يستحق هذه المرأة الذكية . والأسباب الموضوعية هي خيبة أمل نيتشه في فاجنر. فلقد توقع منه نيتشه إصلاحا عاما في جميع الميادين البشرية، ثم أدرك أنه عاجز عن تقديم ما أراده. هذا فضلا عن تحول فاجنر إلى الكنيسة في أواخر حياته يلتمس الغفران، في الوقت الذي كان يرجوه نيتشه ثائرا يقلب القيم الدينية، ويمجد قيم الحياة. ويقول فؤاد زكريا (١٩٩١، ص ص ٣٠-٣١) : "والحق أنه كان من المحال أن يسود التفاهم بين فاجنر وبين ذلك الذي أراد أن يكون عدو المسيح وأن ينقد كل ما يمت إلى المسيحية بسبب...إن فاجنر...كان في واقع الأمر مسيحيا مخلصا من بداية الأمر : فلو حللت أية واحدة من دراماته الموسيقية، لوجدت فيها فكرة التكفير والتوبة تلعب دورا أساسياً أما نيتشه فقد التزم طوال حياته بالخطة التي رآها مناسبة ، وهي رفض الثقافة النصرانية السائدة في عصره والأخلاق الديمقراطية، وإحياء ما اعتبره المثال الإغريقي الارستقراطي للحياة، وضحى بأصدقائه من أجل الحقيقة كما يتصورها. يقول رايت Wrigh (١٩٤٢، ص٣٨٧) : "بالرغم من اعتقاد الكثيرين في أن نيتشه مخطىء في بعض جوانب فكره، لم ينكر أحد شجاعته وإخلاصه" وفي يناير ١٨٨٩ أصيب نيتشه بسكته أفقدته الوعي لمدة يومين، ولم يفق منها إلا للحظات قصيرة، فأودع في مصحة في بازل ، ثم نقل إلى مصحة عقلية، ثم رعته أمه حتى ماتت ١٨٩٧ ، فقامت

أخته على رعايته حتى مات في الخامس والعشرين من أغسطس ١٩٠٠ ، وفيما يلي نناقش بعضا من جوانب فلسفته .

رابعاً : بعض جوانب فلسفته :

كتب نيتشه الفلسفة على نحو مثير للفكر، ولم يقدم إجابات حاسمة لكثير من المشكلات التي أثارها، فكان أشبه بسقراط منه بكانط، ولم يقدم نيتشه نظاما فلسفيا لعدة اعتبارات ، منها اعتقاده في أن النظام يوجب الاعتماد على حقائق ثابتة، وهو يرى أن الحقيقة مرتبطة بالحياة، وبالتالي تكون متقلبة كالحياة، ومنها أن النظام يستبعد النمو والتكامل ، ويعني بالترابط المنطقي على حساب الواقع. فأصحاب المذاهب الفلسفية يحاولون الإجابة عن جميع المشكلات دفعة واحدة، وبالتالي ينكرون النمو والتكامل . والفيلسوف الحق في رأيه هو الذي يكون مستعدا على الدوام لمعارضة أفكاره السابقة. ويكون معنيا بالحياة أكثر من عنايته بالمنطق. ويذهب راسل Russell (١٩٤٥، ص ٧٦٠) إلى أن ينتشه لم يبتكر نظريات فنية جديدة في الوجود والمعرفة ، وأن أهميته في تاريخ الفلسفة ترجع إلى إسهاماته في مجالي الأخلاق والنقد التاريخي. ويرى كاتب هذه السطور أن ربط نيتشه بين المعرفة والوجود والمعرفة والبطلان يعتبر اسهاما في تاريخ الفكر الفلسفي لا يقل عن إسهامه في مجالي الأخلاق ونقد الفكر الديني . ولا احسبني أغلو إذا قلت إن نقده للأخلاق والدين يعتمد على موقفه من الوجود والمعرفة. وفيما يلي موجز لإسهامات نيتشه في مباحث الوجود والمعرفة، والدين والأخلاق ، والسياسة والاجتماع .

أ - نظريتا الوجود والمعرفة :

تمثل فكرة الحياة عند نيتشه جوهر نظريته في المعرفة، وبالتالي يصعب فصل آرائه في الوجود عن آرائه في المعرفة. وبالرغم من أن فكرته عن الحياة بالغة العمومية ، ولا نكاد نعرف بدقة ما يقصده بالحياة، فقد استخدم هذه الفكرة في نقد المعتقدات الدينية والمذاهب الفلسفية التي تتنكر للحياة. يقول فؤاد زكريا (١٩٩١، ص٦٢) :

لم يقصد نيتشه من فكرة الحياة " إلا أن تكون نواة تتبلور حولها كل خيوط الثورة العاتية التي واجه بها نيتشه عصره. فهو يلخص نقائص العصر- في مختلف المجالات - بكلمة واحدة ، هي إنكار الحياة، ويلخص هدف حملته النقدية الهائلة بكلمة واحدة، هي الإقبال على الحياة". ومن ثم انتقد الفلسفات التقليدية التي تعنى بالبحث عن الحقيقة في عالم مفارق يختلف عن عالم الظواهر الذي يعيش فيه الناس، وانتقد المعتقدات الدينية التي يغلب عليها الطابع الزهدي، وتبعث في الإنسان روح العزوف عن العالم الأرضي. وفي كتابه "مولد المأساة من روح الموسيقى " (١٩٦٨) ، الذي نشر لأول مرة في عام ١٨٧٢، فسر نيتشه الحياة الإغريقية والأدب الأغريقي كما لو كان يتقاسمهما اتجاهان : اتجاه يؤكد البهجة والسرور ، والاندفاع العزيزي، والعاطفة والفوضى، والمخاطرة ويمثله "ديونيسيوس" أو "باخوس" وهو إله الخمر والمرح، واتجاه يؤكد التأمل العقلي، والنظام المنطقي، والهدوء الفلسفي ، ويمثله "أبولو" وهو إله الحكمة والعدل والسلام والراحة. أما الاتجاه الأول فقد أدي إلى اهتمام الإغريق بالحياة والشعر والفن، وأما الاتجاه الثاني فقد أدى إلى اهتمامهم بالتفكير المجرد والابتعاد عن الحياة. ويرى نيتشه أن الإغريق كانوا في أفضل حالاتهم حينما كانوا شعراء ورجال حرب وعمل، وأصبحوا في أسوأ حالاتهم بظهور سقراط وأفلاطون ويوربيدز وغيرهم ممن اهتموا بالتفكير المجرد. يقول نيتشه (نقلا عن مصطفى غالب، ١٩٨٣، ص ص ١٨-١٩) : " إن الأمة تبدع في طور شبابها الأسطورة والشعر ، وتنتج في مرحلة انحلالها الفلسفة والمنطق . فلقد أنجبت اليونان في شبابها هوميروس ، وأشيل، وأعطتنا في دور انحلالها يوربيد المنطقي ".

المعرفة في رأي نيتشه لا تطلب لذاتها ، وإنما لما يترتب عليها من منافع، كأن تعين على العمل والحياة والتكيف. يقول نيتشه (نقلا عن فؤاد زكريا، ١٩٩١، ص٦٤) : " الأصل في الحقيقة نفع الحياة، ومن ثم تلتقي أفكاره مع أفكار البرجماتيين والطبيعيين ، الذين لا يخلعون أهمية خاصة على العقل أو الفكر، بل

يعتبرونهما مجرد أدوات للحياة أو وسائل للتكيف، وبالتالي لا يختلفان عن مخالب الحيوانات ، وزعانف السمك، وسيقان الغزلان باعتبارها أدوات للتكيف والحياة. وإذا كانت الخصائص تدوم بقدر ما تنفع فالباطل يمكن أن يكون أساسا للحق، لأن الحياة تستعين بكل وسيلة تعين على الحياة، بما في ذلك الخطأ والبطلان. يقول نيتشه في كتابه "العلم المرح" (١٩٦٨، ف.١١٠) : " لم يتولد عن العقل خلال العصور الماضية سوى الأخطاء. ومن هذه الأخطاء ما ثبت نفعه وقدرته على حفظ النوع ... ومن هذه الأخطاء الاعتقاد في أن هناك أشياء ثابتة، وأشياء متماثلة، وأن هناك جواهر وأعراض، وأن الشيء على ما يبدو عليه، وأن لنا إرادة حرة، وما هو خير لي خير في ذاته... ولقد غدت هذه الأخطاء معايير يقاس بها ما هو حقيقي وما هو غير حقيقي حتى تغلغلت في أعمق مجالات المنطق الخالص". وفي كتابه "أفول الأصنام" (١٩٦٨) ينتقد نيتشه العقل، ويتحدث عن أربعة الأخطاء التي يقع فيها، مثل الخلط بين السبب والنتيجة، والتسليم بمبدأ العلية، والأسباب الموهومة أو المتخيلة ، والاعتقاد في الإرادة الحرة. ولقد أدى نقد نيتشه للعقل ومبادئه إلى نقده للميتافيزيقا وكل ما يرتبط بها من أفكار ومفاهيم ، مثل فكرة الجوهر، وفكرة الثبات، وفكرة العلة والمعلول، وفكرة الله، وفكرة الذات. ومن ثم اقترب نيتشه في نقده للميتافيزيقا من المذاهب الوضعية والتجريبية . وفي نقده للكوجيتو الديكارتي يقول نيتشه في كتابه "ما وراء الخير والشر" (ب .ت ، ص ٢٠٣) : " لا يزال هناك مؤيدون أبرياء للاستبطان يعتقدون بوجود يقينيات مباشرة مثل " أنا أفكر" أو مثلما كان يتخيل شوبنهور " أنا أريد " كما لو كانت المعرفة في هذه الحالة تقدر على إدراك موضوعها نقيا عاريا، وبصفته شيئا بذاته دون التواء، لا من جهة الفاعل ولا من جهة الموضوع . لكن سوف أعيد مائة مرة القول إن مفاهيم مثل يقين مباشر، ومعرفة مطلقة، أو شيء بذاته، تحتوى على تناقض . فإذا حللت القضية المعبر عنها بهذه الجملة " أنا أفكر" فسوف يكون لدى سلسلة من التأكيدات المتهورة... يستحيل اثباتها وتأسيسها "فأنا

الذي يفكر " يعني وجود شيء يفكر، ويعني أن التفكير فعل ونتيجة ينبثقان عن الكائن المعتبر سببا، وأنه يوجد أنا، وأنني أعرف ما يعنيه التفكير". ومن ثم يبدو تعقيد القضية التي اعتقد ديكارت أنها يقين مباشر. ولقد انتقد نيتشه فكرة الثبات، وتمييز العقليين بين المظهر والحقيقة، لأن اعتقاد الفلاسفة ورجال الدين في وجود عالم آخر يكون العالم الذي نعيش فيه زائفا بالنسبة إليه لم يكن اعتقاداً مقبولا في رأيه ، لأن في ذلك إدانة للحياة على الأرض . ومن ثم أكد نيتشه أن العالم المحسوس أو العالم الظاهري هو العالم الحقيقي الوحيد ، ولا وجود لعالم آخر سواه .

وفي كتابه "أفول الاصنام" (١٩٦٨، القسم الثاني) دافع نيتشه عن الحواس وأدان العقل. فالحواس في رأيه لا تخدع، والخطأ خطأ في الحكم. ولعل ذلك يبدو من قوله : " إن الحواس لا تكذب لا على النحو الذي اعتقده الإيليون ، ولا على النحو الذي اعتقده هراقليطس. إنها لا تكذب مطلقا... إن العقل هو السبب في تزييفنا لشهادة الحواس. فالحواس لا تكذب بقدر ما تظهر الصيرورة والتغير والموت". ودفاع نيتشه عن الحواس يستلزم اعترافه بالعالم الذي تدركه الحواس - ذلك العالم الذي شوهه الفلاسفة واعتبروه عالما للظواهر . ويجب أن نشير هنا إلى نيتشه لم يتهم العقل بما هو عقل، وإنما اتهم الفلاسفة الذين أساءوا استخدامه، وغلوا في تقديره على حساب جوانب الإنسان الأخرى. غير أن العقل الذي يعليه نيتشه ليس مرادفا للعقل عند العقليين ، وإنما هو مرادف للعقل عند الطبيعيين الذين يعتبرونه أداة للتكيف مع الحياة. العقل عنده هو القدرة على التكيف وإعانة الإنسان على العمل والحياة ، وليس له أهمية في ذاته لأن نيتشه ينكر الأشياء في ذاتها. ومن ثم كان اعترافه بأهمية ما يعتبره العقليون أخطاء لأنها ساعدت الإنسان على التكيف مع بيئته. ولا أدل على احترام نيتشه للعقل من أعتقاده في أن أرادة القوة هي المبدأ الأساسي الوحيد الذي يهيمن على الوجود. وإرادة القوة هي الدافع لكل نشاط حيوي، وما العقل والغريزة إلا مظهران لإرادة القوة ، والعقل أعظم مظهر لتلك الإرادة . والقوة هي جوهر الوجود عند

نيتشه ، فالمعرفة قوة وأداة للقوة ، وإرادة الحقيقة تستهدف خدمة إرادة القوة ، والعقل مولع بالافترضات التي تشعره بالقوة، وعلم الطبيعة يهدف إلى صياغة القوانين التي تعين على إخضاع قوى الطبيعة وهكذا. ولعل هذا الفهم يبدو من قول نيتشه (نقلا عن جيل دولوز، ١٩٩٣، ص٥٤) : " كل واقع هو كمية من القوى، ولا شيء غير كميات قوة في علاقة يؤثر بعضها في بعض... وما يحدد جسما هو العلاقة بين قوى مسيطرة وقوى مسيطر عليها. فكل علاقة قوى تشكل جسما كيميائيا، وبيولوجيا، واجتماعيا، وسياسيا. وتسمى القوة المسيطرة فاعلة والقوى المسيطر عليها رادة للفعل". ويرى نيتشه (نقلا عن ستومب Stumpf ، ١٩٧٧، ص ص ٣٧٣-٣٧٤) أن ليس على الإنسان أن يختار بين ديونسيوس وأبولو ، وإنما لا بد من الجمع بينهما. وهكذا نرى أن نيتشه لم يقلل من أهمية العقل في توجيه السلوك الإنساني. ولقد دلل يسري إبراهيم (١٩٩٠، ص ٨٩) على إعلاء نيتشه للعقل من خلال تقديمه لخمسة الأسباب التالية :

١- أن نيتشه يرى أن الفلسفة القديمة لم تعرف قيمة العقل وعظمته ، ومعنى ذلك أنه يعرف قيمة العقل وعظمته .

٢- أنه يرى أن العقلانية أعظم تجل لإرادة القوة .

٣- أنه يرى أن العقل ينظم حياة الغرائز ، وبدونه تصبح الغرائز في حالة فوضى، وتؤدي إلى انحطاط الحياة الإنسانية. وهي الحالة التي كان يعيشها الإغريق قبل مجيء سقراط، الذي قدم بدوره شكلا جديدا للانحطاط ، وهو طغيان العقل.

٤- أنه يرى أن الانتصار على الذات يتحقق بفضل العقل .

٥- تكشف مؤلفات نيتشه عن منهج عقلي وتسلسل منطقي واضح، فكل فكرة من أفكاره تؤدي إلى الفكرة الأخرى تكملها وتكتمل بها . فلا تستطيع فصل فكرة الانسان الأعلى عن فكرة موت الإله المسيحي ، لأن فكرة الإنسان الأعلى تترتب على فكرة موت الإله المسيحي .

ب - الأخلاق والدين :

يقول راسل Russell (١٩٤٥، ص ٧٦٠) : ترجع أهمية نيتشه في تاريخ الفكر الفلسفي إلى إسهاماته في مجالي الأخلاق والدين، ويقول فؤاد زكريا (١٩٩١، ص ٨٢) : " لن نكون مغالين إذا قلنا إن الأثر الأكبر الذي خلفه نيتشه كان في ميدان الأخلاق ... وفي ميدان الأخلاق أتى نيتشه بأكثر آرائه جرأة وأصالة " فلقد استهدف نيتشه القضاء على الأخلاق التقليدية - بما في ذلك الأخلاق النصرانية - واستبدالها بأخلاق جديدة تعتمد على إرادة القوة : انتقد الأخلاق العقلية، والأخلاق التطورية ، والأخلاق النفعية، وأخلاق الواجب، والأخلاق النصرانية. وفي كتابه " أصل نشأة الأخلاق" (١٩٦٨) تحدث نيتشه عن تطور الأخلاق ومفهومي الخير والشر في ثلاث مقالات. ففي المقالة الأولى، فرق بين الخير والشر، وقابل بين معانى الخير والشر عند الفئات الاجتماعية المختلفة، وبخاصة العبيد والأسياد ، وفي المقالة الثانية، تحدث عن الضمير الخلقي ومشاعر الإثم، وأكد أهمية الغرائز وخطورة كبتها. يقول نيتشه (المقالة الثانية، القسم ١٦) : " إن الغرائز التي لا تجد منفذا، ولا يتم إعلاؤها ، تؤثر سلبا على صاحبها". وفي المقالة الثالثة وحد نيتشه بين الضمير الخلقي السيء وفكرة الرب، وقرر (المقالة الثانية، القسم ٢٢) أن الإغريق استخدموا آلهتهم ضد مشاعر إثمهم ، بينما اعتقد النصارى أن إفساح الطريق لرغباتهم الحيوانية عصيان لإرادة الرب. ويكرر نيتشه هذه الأفكار في غير عمل من أعماله. ففي أحد خطاباته إلى أخته (٦ أغسطس ١٨٧٦) أكد أنه لا ينبغي الثقة في الضمير، وأن " وخز الضمير - كعقر الكلب للصخر - غباء خالص". وفي خطاب إلى لوسي أوت (٣٠ يوليو ١٨٧٦) قال نيتشه " لا يختلف اللص عن الرجل القوى الذي يحاول حماية المجتمع من اللصوص، فهما في الأساس متشابهان (أي مدفوعان بقوى غريزية واحدة) والأخلاق التجارية أخلاق قرصنة : فالتاجر يشترى بسعر منخفض ويبيع بسعر مرتفع "ولقد انتقد نيتشه كل فلسفة خلقية تدعو إلى العطف ، والشفقة، والصبر، والتواضع ،

والحقد، وأعلى من قيم القوة، والشجاعة ، والأمانة ، والعفو. يقول نيتشه في كتابه "الفجر" (١٩٧٨، القسم ١٨) : " الفضائل الأربعة الأصلية هي الأمانة مع النفس والأصدقاء ، والشجاعة مع الأعداء، والعفو مع المتهورين، والأدب بصفة عامة ".

ولقد وجه نيتشه أعنف انتقاداته إلى النصرانية، والحق أنه لم يكن مهتما بالحقيقة الميتافيزيقية للنصرانية أو غيرها من الأديان لأنه ينكر وجود عقيدة صحيحة. ومن ثم حكم على جميع العقائد بما يترتب عليها من آثار اجتماعية. فالعقيدة النصرانية في رأيه - كما عبر عنه في كتابه " ضد المسيح" (١٩٦٨) دجنت الإنسان ، وحطمت قوته وشجاعته، وحولت كبرياءه إلى قلق ومشاعر إثم ووخز ضمير، وخالفت الطبيعة الإنسانية. فالنصرانية تؤكد محبة الأعداء ، والطبيعي في رأي نيتشه أن نكره الأعداء ، وتدعو إلى كراهية العالم الأرضي، والطبيعي في رأيه أن يحب الإنسان عالمه ويعمل على ترقيته. ولقد أرجع محمد المسير (١٩٨٤، ص ص ٤١٨ - ٤٢٠) نقد نيتشه للنصرانية إلى جملة أسباب هي طلاسم الكنيسة وكهنوت رجالها، والعقيدة الخاطئة في طبيعة المسيح، وقصور العقل البشري عن إدراك الحقيقة الإلهية ، وإهدار قيمة العالم الأرضي في سبيل العالم الآخر ، والاستهزاء بالجسد إعلاء للروح. ويكشف نيتشه عن التناقض القائم بين مبادىء الأخلاق والنصرانية ودوافعها ، وينتهي إلى الاعتقاد في أن النصرانية تغير بالإنسان ولا ترقى بحياته. فالأخلاق النصرانية تجعل محبة الجار على رأس القيم الخلقية، ولكنها في حقيقة أمرها أنانية مقنعة. يقول نيتشه في كتابه "هكذا تكلم زرادشت" (١٩٠٥، ص٦٤) : "فالشخص يذهب إلى جاره لأنه يبحث عن نفسه، ولأنه يخشى أن يفقد ذاته"، ومعنى ذلك أنه يرى أن محبة الجار محبة للذات، وأن الناس يهربون من أنفسهم إلى جيرانهم ويعتبرون ذلك فضيلة. ويذهب نيتشه أيضا إلى أن الغيرية أنانية ، ولا يهدف الإنسان من ورائها إلا إرضاء ذاته. يقول نيتشه في كتابه (إنساني - إنساني إلى أقصى حد، ١٩٦٨، ف٥٧) : "يرغب الجندي في الموت وهو يقاتل من أجل نصرة وطنه، لأن انتصار وطنه

انتصار لأمانيه" ويرى نيتشه في كتابه " أصل نشأة الأخلاق" (١٩٦٨، ف١١) أن دعوة النصرانية إلى الزهد ترجع إلى حقد دفين، وتصدر عن غريزة جشعة ، وإرادة قوة ارتكاسية تريد قهر الحياة ذاتها. فهي تستخدم القوة لتعترض سبيل القوة، من خلال التحكم في الغرائز ، ومن ثم يرى أن حياة الزهد تنطوي على تناقض ، وبناء على ذلك يذهب محمد المسير (١٩٨٤، ص ٤٣٠) إلى الاعتقاد في أن ينتشه هدم ولم يبن "لأنه ضاق ذرعا بعقائد الكنيسة وأخلاق العبيد... ولم ينهض بتقديم تصور عام يمكن تطبيقه لبناء مجتمع ما". والحق أن نيتشه هدم ليبني ، ولم يرفض الأخلاق التقليدية التي تخالف الطبيعة الإنسانية ، إلا ليستبدلها بأخلاق جديدة، توافق الحياة والطبيعة الإنسانية . لقد أراد نيتشه مجتمعا جديدا، وثقافة جديدة وإنسانا جديدا، وقيما جديدة، وفيما يلي نعنى ببيان القيم الخلقية الجديدة التي يدعو إليها ، والإنسان الجديد الذي يريده .

جـ - الأخلاق الجديدة والإنسان الأعلى :

نظرا لاعتقاد نيتشه في أن الحياة الأرضية هي المظهر الحقيقي للحقيقة الكبرى، وأن إرادة القوة هي جوهر الوجود، فقد أعلن أن المعيار الأساسي للقيم الخلقية هو إرادة القوة، وأن تاريخ الخير والشر هو تاريخ الأقوياء والضعفاء .فالخير في رأيه هو القوة والشر هو الضعف . يقول نيتشه في مقالة له عن " الحرب والمحاربين" توجد في كتابه " هكذا تكلم زرادشت " (ص ١٩٠٥، ص٤٨) : "قد تسأل ما الخير ؟ أقول : الخير في أن تكون شجاعا، واجعل المرأة تقول الجميل هو الخير". ويضيف كامل عويضه (١٩٩٢، ص٣٢) أن نيتشه يسأل " ما هو الخير ؟ ويجيب الخير هو الشجاعة.. وكل ما يزيد الشعور بالقوة هو إرادة القوة،. وما هو الشر؟ الشر هو كل ما ينشأ عن الضعف". وبناء على ذلك يحكم نيتشه على الأمم الأوربية وفقا لما يبديه سكانها من مظاهر القوة المادية والثقافية. فالإنجليز في رأيه (نقلا عن كامل عويضة، ١٩٩٣، ص ص ٣٥-٣٨) أسوأ الشعوب، لأنهم أفسدوا العقل الأوربي

بأوهام الديمقراطية، ويمتاز شعب روسيا بالقوة والعناد، ولا يعرفون الغباوة البرلمانية. أما الفرنسيون فهم أكثر الشعوب الأوربية فكرا وذكاء، وأما الألمان فقد أفسدت البروتستانتية ، والأوبرا الفاجنرية، وشرب الجعة ذكاءهم. غير أنه يرى أن فضائل الرجولة في الشعب الألماني أكثر منها في الشعبين الإنجليزي والفرنسي، ولذلك يقترح الدمج بين ألمانيا وروسيا بلوغا إلى السيطرة على العالم. ويذهب نيتشه (نقلا عن ديورانت، ١٩٨٥، ص ٥٢٧) إلى أن العقل والأخلاق عاجزان أمام إرادة القوة وإلى أن الغريزة هي أعظم أنواع الذكاء الذي عرفه الإنسان حتي الآن، وإلى أن الإنسان بالغ في تقدير الإدراك العقلى، وليس الإدراك سوى عملية ثانوية لا أهمية لها ولا لزوم ، فالشطر الأعظم من نشاطنا العقلي يتم بطريقة لا شعورية. وأقوياء الرجال لا يخفون رغباتهم وراء ستار من العقل، فالرغبة تبرر نفسها في النفوس القوية السليمة. إن المقياس الحقيقي لاختبار الفرد أو الجماعة هو الحيوية والمقدرة والقوة. ونظرا لاعتقاد نيتشه في أن القوة هي أساس الأخلاق فقد أوجب على الإنسانية العناية بأفضل عناصرها، وأقواها، بلوغا إلى الإنسان الأعلى ، أو الإنسان الأسمى ، أو السوبرمان.

وتتجسد إرادة القوة عند نيتشه في فكرة الإنسان الأعلى ، الذي يتجاوز الخير والشر بمعناهما العادي . يقول فؤاد زكريا (١٩٩١، ص ١٠٢) : "الإنسان الأرقى هو تجسيد المثل الأخلاقي الأعلى عند نيتشه : فليس هو إنسانا طيبا يخضع للقيم الأخلاقية المعترف بها، أو يحاول تحقيق الخير وتجنب الشر، بل هو إنسان يسعى إلى مزيد من الحيوية في كل شيء" ويقول ديورانت (١٩٨٥، ص ٥٣٣) : "إن أميز ما يميز الإنسان الأعلى هو حبه للمخاطرة والكفاح" والإنسان الأعلى في رأي نيتشه ينتمي إلى العالم الأرضي، لا إلى عالم مفارق، يقول نيتشه في كتابه .. "هكذا تكلم زرادشت" (١٩٠٥، الاستهلال الثالث) : " الإنسان الأعلى هو معنى الأرض . فاجعلوا إرادتكم تقول : إن الإنسان الأعلى سوف يكون معنى الأرض " ويدعو زرادشت الناس إلى ان يظلوا أوفياء للأرض حيث يقول (الاستهلال الثالث) :"أناشدكم يا إخواني أن

تظلوا على ولائكم للأرض، ولا تصدقوا أولئك الذين يحدثونكم عن الآمال السماوية. فهم ينفثون فيكم السموم، سواء أعلموا بذلك أم لم يعلموا ... فابتعدوا عنهم "ويضع نيتشه عدداً من الشروط اللازمة للبلوغ إلى الإنسان الأعلى منها، إلغاء جميع الثنائيات ، كالتعارض بين العالم الأرضي والعالم الآخر، والمقدس، والمدنس، والمحسوس والمثال، والظاهر والشيء في ذاته، ومنها الهندسة الوراثية، فلا ينبغي في رأيه أن نسمح لأفذاذ الرجال بالزواج عن طريق الحب، فالحب يعمى البصيرة ويفقد الحكمة، ولا بد من أن يتزوج خير الرجال من خير النساء، ويكون الغرض من الزواج تطوير النسل (انظر هكذا تكلم زرادشت، الكتاب الأول، "الزواج والطفل"؛ ومنها التربية الصارمة التي تستهدف الأخذ بيد الصغار وقيادتهم إلى الكمال، وإعانتهم على تحمل المسئوليات، وتجاوز الذات. تقول السيدة فورستر نيتشه في تقديمها لكتاب أخيها "هكذا تكلم زرادشت" (١٩٠٥، ص Xi) : "طالما أن النظام القيمي القديم - بتأكيده على الخصائص المناسبة للضعيف والمقهور - قد نجح في إنتاج الضعيف والخوار.. فإن النظام الجديد للقيم - بتأكيده على القوة والجبروت والامتياز - يجب أن يعد القوى الشجاع الممتلىء بالحياة ، الذي يعد فخرا للحياة ذاتها " ويذهب نيتشه إلى أن البلوغ إلى الإنسان الأعلى وتربيته مسئولية الإنسانية جمعاء. ولعل ذلك يبدو من قوله (نقلا عن ديورانت،١٩٨٥، ص٥٣٥): "قد يتحول العقلاء منا إلى الدعوة والتبشير بهذا الإنسان الأعلى، وتمهيد الطريق لمجيئه ، وأن نتعاون جميعا على اختلاف أوطاننا وأزماننا لبلوغ هذه الغاية " وتقول السيدة فورستر نيتشه (مقدمة هكذا تكلم زرادشت ، ص Xi) : "يقصد نيتشه بكلمة تربية عملية التعديل بوساطة القيم العليا الجديدة باعتبارها قوانين وإرشادات توجه فكر النوع الإنساني وسلوكه". ومعنى ذلك أن المبدأ الحاكم للنظام القيمي الجديد، الذي ينشأ فيه الإنسان الأعلى هو " كل ما ينتج القوة خير ، وكل ما ينشأ عن الضعف شر".

د - السياسة والاجتماع :

يعتقد نيتشه أن المجتمع المثالي يخضع لنظام متدرج من المستويات الاجتماعية والسياسية، ويكون كالهرم الذي لا يستقر إلا على قاعدة عريضة من الطبقة الوسطى القوية، التي تعمل تحت إشراف الزعماء الأقوياء، وتوجيههم العقلي. يقول ديورانت (١٩٨٥، ص ٥٤٦) : " المجتمع المثالي عند نيتشه ينقسم إلى ثلاث طبقات هي : طبقة المنتجين وتشمل المزارعين والعمال ورجال الأعمال، وطبقة الموظفين وتشمل الجنود، وطبقة الحكام. وللحكام أن يديروا سياسة الدول بأن يكونوا ساسة وفلاسفة لا موظفين". إنه يرى أن الأرستقراطية هي أفضل نظام للحكم، ويجب استئصال الاشتراكية والديمقراطية. يقول راسل Russell (١٩٤٥، ص ٧٦٤) :" لقد أراد نيتشه جنسا عاليا يحكم، ويكون أصحابه ملوكا على الأرض. وذلك هو الأرستقراطية القائمة على النظام الصارم، وتكون فيه إرادة ذوي السلطة من الفلاسفة وطغاة الفنانين هي الحاكمة". والأرستقراطية التي يريدها نيتشه طائفية ووراثية ، ولعل ذلك يبدو من تساؤله (نقلا عن ديورانت ، ١٩٨٥، ص٥٤٦) :"هل ينبغي أن تكون هذه الفئة الحاكمة طائفية وسلطتها وراثية؟ والجواب نعم وإلى حد كبير، ولا تمزج دما جديدا إلى دمها.. إذ لا شيء يضعف الأرستقراطية ويفسدها ويلوث دمها أكثر من زواج الأغنياء من العوام السوقة... لقد دمر هذا التزاوج أعظم هيئة حاكمة شاهدها التاريخ ألا وهو مجلس الشيوخ الأرستقراطي الروماني". وترجع كراهية نيتشه للديمقراطية إلى عنايتها بأوساط الناس وإغفالها للتفوق والامتياز، وترجع كراهيته للاشتراكية إلى عدة أسباب ذكرها فؤاد زكريا (١٩٩١، ص ص ١٠٩-١١٧) ونوجزها في أربع النقاط التالية :

١- الاشتراكية تحاول إصلاح أناس لا يرغبون في الإصلاح ولا يشعرون بالحاجة إليه .

٢- تحقيق الاشتراكية يؤدي إلى خلق إنسانية خاملة.

٣- الاشتراكية تبعد القلة الممتازة عن مسرح السياسة .

٤- الاشتراكية تبعث في الناس رغبة في المساواة المصطنعة ، وكل محاولة للتسوية بين الناس مضادة للطبيعة .

إن نيتشه يفضل الأرستقراطية الوراثية على جميع أشكال الحكومات الاجتماعية. يقول نيتشه (نقلا عن كيث جينكينز، ١٩٨٢، ص ص ٢٥٣-٢٥٤) : " إننا لا نحافظ على شيء، ولا نرغب في العودة إلى عصور سابقة، إننا ... لا نحتاج إلى سد آذاننا عن تلك الأبواق التي تتغنى بالمستقبل في السوق، وتدور أغنيتها حول الحقوق المتساوية ، والمجتمع الحر الذي لا يوجد فيه أسياد وعبيد .. إننا لا نعتقد أن المرغوب فيه تأسيس عدالة على الأرض .. إننا نفكر في ضرورة وجود أنظمة جديدة وعبودية جديدة - لأن كل زيادة وتقوية للنوع الإنساني توجب نوعا جديدا من العبودية.. إننا لسنا إنسانيين، ولا ينبغي أن نسمح لأنفسنا بالحديث عن محبة الإنسانية . إننا لسنا معدين لذلك ". ويرجع تفضيل نيتشه للأرستقراطية الوراثية إلى أنها تتألف من أجناس متفوقة وراثيا. فماذا يقصد نيتشه بالأجناس المتفوقة وراثيا ؟ إننا نستطيع إفتراض أن الأفراد الذين ينحدرون عن جنس متميز أكثر احتمالاً في أن يكونوا نبلاء بالمعنى الذي يريده نيتشه - أي يكونوا أقوى ، وأشجع ، وأقل تعاطفا ، وأكثر رغبة في القوة. ولذلك يرى نيتشه أن من المرغوب فيه أن يحصل هؤلاء الأرستقراطيون على السلطة، ويديروا شئون الآخرين. ولكن ما المقصود بالمرغوب هنا ؟ هل المقصود ما يرغبه نيتشه ؟ إذا كان المقصود ما يرغبه نيتشه فإن معتقده يمكن أن يصاغ على النحو التالي : " إنني أرغب في أن أعيش في عصر بركليس" ولكن هذا ليس فلسفة ، بل حقيقة خاصة برغبة شخص. ان المرغوب من وجهة النظر الفلسفية يجب أن يتعلق بتشريع عالمي، وليس برغبة خاصة. يقول راسل Russell (١٩٤٥، ص ص ٧٦٨-٧٦٩) : "يجب أن نميز بين الأخلاق الأرستقراطية والنظرية السياسية الأرستقراطية. فمبدأ بنتام الذي يتمثل في

سعادة أكبر عدد من الناس مبدأ ديمقراطي، ولكنه قد يعتقد أن ضمان أكبر قدر من السعادة لأكبر قدر من الناس لا يتحقق إلا عن طريق حكومة أرستقراطية. ولكن ليس هذا موقف نيتشه، لأنه يعتقد أن سعادة العامة ليست جزءاً من الخير بما هو كذلك، فالخير والشر في ذاتهما يوجدان لدى القلة المتميزة . أما ما يحدث للعامة فأمر لا يعنيه". والمتدين يستطيع أن يقول إن ما هو مرغوب يتحدد بإرادة الرب، ولكن نيتشه لا يستطيع أن يقول ذلك لأنه أقام فلسفته على فرض موت الرب. وقد يقال إن نيتشه عرف المرغوب بحدس خلقي، ولكن نيتشه لا يستطيع أن يقول ذلك ، لأنه قريب مما قاله كانط واعترض عليه نيتشه. إن ما يستطيع أن يقوله نيتشه ليزيد كلمة "مرغوب" إيضاحاً هو : إذا قرأ الناس أعمالي فسوف يشاركني بعضهم رغبتي في تنظيم المجتمع على أسس أرستقراطية ، ويعملون للمحافظة على الأرستقراطية ، ويكونون أرستقراطيين ويستطيعون البلوغ إلى حياة أكثر امتلاء. ولكن هذا ينقل المشكلة من المستوى النظري إلى المستوى الإمبيريقي، ولا نستطيع التحقق من فرض نيتشه إلا بالرجوع إلى الواقع لنرى كم شخصا اقتنع بوجهة نظر نيتشه بعد قراءة أعماله.وكان نيتشه يعتقد أن المرأة مخلوق ناقص، وفيها من العيوب الكامنة ما يحتم علينا إبعادها عن كل عمل جدي كالسياسة مثلا. وهكذا وقف نيتشه في وجه حركة تحرير المرأة ، ورأي أن في طبيعتها ما يحول دون هذا التحرير. يقول نيتشه (نقلا عن فؤاد زكريا ،١٩٩١، ص١٢٤): "المرأة محافظة بطبيعتها ، وتحترم السلطة السائدة والأفكار التقليدية، ولا يمكنها أن تتحدى هذه السلطة أو تخرج عن هذه الأفكار". ويقول نيتشه في كتابه "ما وراء الخير والشر، د.ت، الكتاب الثاني، الفقرة ٢٨) :"جيىء بشاب إلى حكيم وقيل له : " ها هو شاب تفسده النساء ! " هز الحكيم رأسه وأخذ يضحك : "الرجال هم الذين يفسدون النساء. وكل خطيئة ترتكبها النساء يجب أن يصلحها ويكفر عنها الرجال" - لأن

الرجل يصنع لنفسه صورة عن المرأة والمرأة تصوغ نفسها وفق هذه الصورة.. طبيعة الرجل إرادة وطبيعة المرأة قبول. وهذا هو قانون الأجناس في الحقيقة". ويشتمل "ما وراء الخير والشر" وبخاصة الكتاب الخامس على آراء غريبة قدمها نيتشه عن المرأة . فالرجل الذي يتصف بالعمق في رأيه لا يمكن أن يفكر في المرأة إلا على الطريقة الشرقية- أي لابد أن ينظر إليها على أنها شيء يمتلك ومتاع يحجب، وأداة للخدمة المنزلية ، ويرى نيتشه (ص٢٣٣) أن المرأة مسئولة عن إبطاء تطور الإنسانية، وتدمير هذا التطور. و"المرأة لا تفهم أهمية الغذاء وتدعى أنها طباخة ! لو كانت كائنا عاقلا مفكراً لوجب عليها أن تكتشف التأثيرات الأساسية للفيزيولوجيا، طالما أنها ومنذ آلاف السنين تقوم بتحضير الطعام ، وتوجب عليها أن تجعل من الطب مجالها الخاص!"ويقول نيتشه أيضا (نقلا عن راسل Russell ، ١٩٤٥، ص ٧٦٤): " سوف يدرب الرجال على أعمال الحرب، وتدرب النساء على الترويح عن المحاربين، وكل ما عدا ذلك حماقة. وإذا ذهبت إلى المرأة لا تنس سوطك" لقد عرض نيتشه هذه الآراء باعتبارها حقائق واضحة بذاتها ، ولم يؤيدها من التاريخ أو من خبرته الشخصية، على الرغم من قلة خبرته بالنساء، بل إن رأيه الحقيقي في المرأة مختلف بدليل تقديره الكبير لشخصيات نسائية مثل لوسالومي ، وكوزيما فاجنر. ويبدو أن نيتشه كان يردد آراء اليونانين في المرأة ، لأنه كان يعود دائما بفكره إلى العصر اليوناني .

وكان نيتشه يمجد الحرب ويؤثرها على السلم، لما يترتب على الحرب من صفات أخلاقية يعزها كالقوة والرجولة والنشاط والخشونة، ولما يترتب على السلم من هدوء وخمول وبلاده، ولذلك ينصح نيتشه (نقلا عن محمد المسير، ١٩٨٤، ص٤٢٦) "بأن يسير الناس على آلاف الطرق وآلاف المعابر مسرعين نحو المستقبل، فتنشأ بينهم الحروب وتتسع شقة التفاوت ، ويجب أن يقيم الناس في سرائرهم مثلا عليا يجاهدون

في سبيلها ، فيسير الصالح والطالح، والغنى والفقير، والرفيع والوضيع إلى التصادم بجميع ما في الأرض من نظم فتضطرم الحروب سلاحا بسلاح ورمزا برمز ". ويقول نيتشه في كتابه " هكذا تكلم زرادشت" (١٩٠٥، ص ٤٧) : "الحرب والشجاعة خلقتا أشياء أعظم مما خلق الإحسان .. سوف تحبون السلام كوسيلة لحروب جديدة، والسلام القصير خير من السلام الطويل" ويضيف (ص٤٨) : " قد تقول أليس السبب الجيد هو الذي يرحب بالحرب ؟ أقول لك: إن الحرب الجيدة هي التي ترحب بكل سبب". ويلتمس فؤاد زكريا (١٩٩١، ص١٣٠) العذر لنيتشه على أساس أن الحرب في عهده لم تكن قد بلغت من العنف والقسوة ما يجعلها تهدد بالقضاء التام على الإنسانية ، وعلى جميع فضائل الإنسان بما في ذلك قيم الرجولة والبطولة. إن الحروب الحديثة لا تعد مقياسا للصلاحية البدنية أو تدريبا على الخشونة وقوة التحمل، وإنما تخلق جيلا مشوها بعيدا عن الصفات التي أرادها نيتشه. ويمكن الدفاع عن نيتشه بقولنا إنه استخدم كلمتي الحرب والسلم باعتبارهما رمزين للعمل والكسل بدليل قوله في كتابه "هكذا تكلم زرادشت" (١٩٠٥، جـ١، ص٤٨) : " إنني لا أنصحك بالعمل ، بل بالحرب ، ولا أنصحك بالسلام ، بل بالنصر ، اجعل عملك حربا وسلامك نصرا" .

خامساً : فكره التربوي :

لم يحظ الفكر التربوي لنيتشه باهتمام الباحثين حظوة الجوانب الأخرى من فلسفته. ولعل ذلك يرجع إلى صعوبة فصل آرائه التربوية عن مشروعه الفلسفي الضخم. وليست هذه الظاهرة وقفا على نيتشه، بل نجدها عند لوك ، وهيجل، وكانط ، وغيرهم من الفلاسفة العظام ممن يصعب الفصل بين آرائهم الفلسفية ومعتقداتهم التربوية. وليس غريبا أن نتعرض لدراسة نيتشه مربيا، لأنه اشتغل بالتعليم في غير مؤسسة تعليمية، وكتب عن التربية في أجزاء متفرقة من أعماله، وله نظرات ثاقبه في الطبيعة الإنسانية ، وانتقد الثقافة الأوربية والمؤسسات الدينية والتعليمية، وبشر بثقافة جديدة وإنسان جديد، وأفرد بحثاً كاملاً للحديث عن شوبنهور باعتباره معلما.

وفي كتابه "شوبنهور مربيا" (١٩٦٥) ناقش نيتشه أهمية التربية المتمركزة حول الطفل، والأهمية التربوية لدراسة سير العظماء وأفكارهم ، ومكانة الفلسفة في المناهج الدراسية، والعلاقة بين الدولة والتعليم . ويشتمل كتابه "تأملات في غير حينها" (١٩٨٣) على غير مقالة تعالج موضوعات تربوية، ففي مقالة بعنوان "ماذا يحتاج إليه الألمان" يكشف النقاب عن عيوب الثقافة الألمانية في عصره، ويدعو إلى الإصلاح الثقافي . وفي مقال بعنوان :" استخدام أو إساءة استخدام التاريخ" يقوم نيتشه دراسة التاريخ، ويدعو إلى استخدام المنهج النقدي حتى تعين دراسة التاريخ على تخطيط المستقبل، ويتحدث عن علاقة التاريخ بالعلوم ، والتعارض بين العمل والثقافة، وامكانية التغيير التربوي في ظل دولة عسكرية. وفي كتابه "أفول الأصنام" (١٩٦٨) يتحدث نيتشه عن نظام التعليم العالي في ألمانيا، ويرى أنه يفتقر إلى كثير من المقومات المهمة كالأساتذة المتعلمين تعليما جيدا، والتربية بمعناها الصحيح. فالمدارس العليا في رأيه تقدم تدريبا لا تعليما، وتعد الطلبة لشغل الوظائف الحكومية، وينكر إتاحة التعليم العالي للجميع ، ويدعو إلى قصره على القلة المتميزه، ويرجع انحطاط الثقافة الألمانية إلى الطرق التربوية السائدة، وإتاحة التعليم الجامعي للجميع، وازدحام الفصول ، وإرهاق المعلمين في المرحلة الثانوية بالعمل لساعات طويلة ويضع نيتشه (ص ص٥١١-٥١٢) تصوراً للتربية ينهض بالثقافة الألمانية، قوامه التعليم من أجل الرؤية، والتعليم من أجل التفكير، والتعليم من أجل التعبير ، وفيما يلي نتعرض لدراسة الفكر التربوي لنيتشه من جانبين : أحدهما يتمثل في مناقشة مفهوم الإنسان الأعلى باعتباره هدفا تربويا، والحكم على مدى مناسبته لعصر تغلب عليه الاتجاهات الديمقراطية ، وثانيهما مناقشة طريقته في تربية الإنسان الأعلى، والكشف عن المبادىء التربية المتضمنة فيها .

١ - الإنسان الأعلى هدفا للتربية :

الإنسان الأعلى تجسيد للمثل الأخلاقي الذي أراده نيتشه ، فهو ليس إنسانا يخضع للقيم الخلقية العدمية، بل إنسان يسعى إلى الرقي والبلوغ إلى مستويات أعلى من الحياة والنشاط والإبداع. ولقد فهمت فكرة الإنسان الأعلى عند نيتشه على أنها مظهر من مظاهر تأثره بالفلسفة التطورية لداروين ، واعتقد الكثيرون أن نيتشه يهدف إلى البلوغ إلى نوع إنساني جديد. ونحن لا ننكر أن نيتشه تأثر بداروين أو أن كثيرا من أقواله يوهم بفكرة التطور البيولوجي للإنسان الأعلى. يقول بيار هيبر سوفرين (١٩٩٤، ص٥٦) يتبع الإعلان عن الإنسان الأعلى مباشرة تلميح إلى نظريات داروين في النشوء والارتقاء" ولكنه يضيف (نفس المكان): "ليس الإنسان الأسمى نوعا جديدا ولده الانتخاب الطبيعي" ويقول فؤاد زكريا (١٩٩١، ص١٠٣) : " إن ما يرمي إليه نيتشه من فكرة الإنسان الأرقى يختلف عن مجرد التقدم التطوري، إذ أن التطور لا يقول أبدا : إن الإنسان لا يزال إلى اليوم قرداً أكثر من القرد ، أو أن فيه من الدودة الشيء الكثير . ولكن ما يعنيه نيتشه بكلمة القرد أو الحيوانية بوجه عام هو نزعتها إلى الثبات ... وسيرها على وتيرة واحدة، ويؤكد ضمنا أن الأخلاقية بما فيها من قواعد تنظيمية يخضع لها المرء آليا دون أن يشعر بالمخاطرة أو الابتكار تعني أن الإنسان لم يتقدم عن مستوى الوجود الحيواني كثيرا، فليست فكرة الإنسان الأرقى بهذا المعنى إلا دعوة إلى التقدم الحيوي المطرد " ويقول يسرى إبراهيم (١٩٩٠، ص ص ٢٣٥-٢٣٦) : "إن الإنسان الأعلى ليس كائنا مفارقا، إنه ليس حلقة جديدة.. في سلسلة تطور الكائنات الحية ... إن الإنسان الأعلى هو نفس الإنسان الذي نعرفه عندما ينتصر على ذاته.. ويصبح إرادة قوية خلاقة تقبل على الحياة وتبدع فيها " ويقول هيدجر Heidgger (١٩٦٧،ص٤١٥): "لم يطلق نيتشه الإنسان الأعلى على شخص موجود حتى الآن، ولم يقصد نمطاً من الإنسان يتنكر للإنسانية، ويجعل إشباعه لرغباته هو القانون أو القاعدة، ولكن معنى عبارة الإنسان

الأعلى هو الفرد الذي تجاوز ذاته " وتقول السيدة فورستر نيتشه في تقديمها لكتاب أخيها " هكذا تكلم زرادشت" (١٩٠٥، ص ص Xiii-Xi) : " لا ينبغي أن ينظر إلى الإنسان الأعلى باعتباره نمطا خياليا.. أو جنسا جديدا بالمعنى الداوريني ، بل باعتباره إمكانية تستطيع الناس تحقيقها بطاقاتهم الفيزيائية والروحية شريطة أن يتبنوا القيم الجديدة ".

والإنسان الأعلى كما يتصوره نيتشه مفهوم يشتمل على عنصرين متناقضين هما الأصالة وتجاوز الذات، وما لم نستطع حسم هذا التناقض، ونعرف مدى مناسبة مفهوم الإنسان الأعلى للحياة الديمقراطية، لا يمكن أن نعتبر خلق الإنسان الأعلى هدفا تربويا. والإنسان الأعلى في رأي نيتشه إنسان تحركه إرادة القوة. وإرادة القوة هي جوهر أخلاق السادة. والسيد في رأي نيتشه يخلق قيمه، ويصدر في سلوكه عن شعور بالقوة، ويشبع رغباته ولا يراعى إلا ذاته. يقول نيتشه (نقلا عن ديورانت، ١٩٨٥، ص ٥٢٧) : " قلما يحاول أقوياء الرجال إخفاء رغباتهم وراء ستار من العقل، ونقاشهم بسيط وهو "أنا أريد" والرغبة تبرر نفسها في النفوس القوية ذات السيادة والسيطرة" ويضيف (نفس المكان) "إن الغرائز هي أعظم أنواع الذكاء الذي عرفه الإنسان حتى الآن". وفي مقابل هذا يقول نيتشه (نقلا عن ديورانت، ١٩٨٥، ص ٥٣٤) : " إن من ينساق لعواطفه وغرائزه هو الضعيف الذي تنقصه قوة الكبت والكبح .. إن أعظم الأمور هو تنظيم الإنسان لنفسه، والإنسان الذي لا يريد أن يكون فردا عادياً من عامة الشعب ينبغي ألا يكون متساهلا مع نفسه، وأن يتخذ لنفسه هدفاً كبيراً شاقا على الآخرين ، وأن يسلك في سبيل الوصول إلى هدفه هذا كل طريق خلا خيانة الأصدقاء. هذا هو الهدف الأسمى لبلوغ النبل، والوصول إلى مرتبة الإنسان الأعلى". يدعو نيتشه في النقلين السابقين إلى اتجاهين متعارضين هما الأصالة بالمعنى الإنساني والوجودي - الذي يفيد التعبير عن الذات وإشباع الحاجات والاهتمامات ، وتجاوز الذات الذي يفيد التحكم فيها والانتصار عليها ، واعلاء الدوافع الفطرية

والغريزية ، أو قل التعارض بين ديونسيوس وأبولو أو القوة والعقل. فكيف يمكن التوفيق بين هذين الاتجاهين المتعارضين؟ إن نيتشه يعتقد أن إرادة القوة هي المبدأ الجوهري في الحياة. ومعنى ذلك أنه لا يوجد مبدأ آخر يمكن تجاوزه أو الانتصار عليه. إن مفهوم الانتصار يعني وجود شيئين - شيء منتصر، وشيء منهزم، وبالتالي لا يكون للانتصار على الذات معنى إلا إذا كانت الذات منقسمة. والذات يمكن أن تنقسم إلى عقل وغريزة ، وبدون هذا الانقسام لا يكون للانتصار معنى ، فأي هذين المكونين يخضع وأيهما يسود ؟ أن نيتشه لا يفهم من تجاوز الإنسان لذاته أو انتصاره عليها انتصاراً للعقل أو الروح على الجسد أو الغريزة ، لأن الإنسان الأسمى في رأيه ليس مجرد روح أو جسد بل هو طبيعة مركبة من روح وجسد أو عقل وعريزة. ونيتشه لا يطالب الإنسان بتدمير نصف طبيعته انتصارا للنصف الآخر ، بل يدعوه إلى العناية بالمكونين وتنميتهما تنمية كاملة. إن العقل والغريزة أداتان لإرادة القوة عند نيتشه، وعندما ينتصر العقل على الغريزة لا يمكن أن نتحدث عن مبدأين مختلفين ، بل عن انتصار إرادة القوة على نفسها. إننا نستطيع أن نفهم إرادة القوة عند نيتشه باعتبارها اتحادا بين ديونسيوس ، وأبولو، أو هي الصورة والهيولي بلغة أرسطو، وهذا الفهم ليس غريبا على تاريخ الفكر الفلسفي والنفسي والاجتماعي والديني. فالفلسفات العقلية تخضع الغرائز للعقل ، والمذاهب الاجتماعية تطالب الفرد بإخضاع خصوصياته الفردية للمعايير الاجتماعية، والمذاهب الفردية تطالب الفرد بتحرير نفسه من المعايير والتقاليد الاجتماعية، والمذاهب الدينية تطالب الفرد باخضاع غرائزه وعواطفه لضميره.

وهكذا يمكن اعتبار الأصالة أحد مفاهيم تجاوز الذات وفقا للمذاهب الفردية. وبالتالي يمكن اعتبار الإنسان الأعلى فرداً أصيلا يعبر عن ذاته ويتغلب على ذاته دون تناقض ، وننتقل الآن إلى التوفيق بين مفهوم الإنسان الأعلى والاتجاه الديمقراطي .

لقد أكد نيتشه في كتابه "إرادة القوة" (١٩٦٧، الهامشان ٢٨٦ ، ٢٨٧) أن فلسفته تهدف إلى ترتيب الناس في مستويات متدرجة، وأنه يرغب في معارضة

الإنسان الأعلى للعامة والابتعاد عنهم والتسلق على أكتافهم ، وأن هذه الصورة من الأرستقراطية هي ما يرجوه للمستقبل. وهذه الأقوال وأمثالها عن الأرستقراطية يمكن أن تفهم على أسس غير اجتماعية أو سياسية. وبعبارة أخرى، أن حديث ينتشه عن الأرستقراطية والنبالة يمكن أن يفهم على أنه أمر يتعلق بالروح أو النفس - أي أنه يتحدث عن العظمة الروحية أو الطاقة النفسية الجبارة. ويوافق ديفيد كوبر Kooper (١٩٨٣، ص ١٢٥) على هذا الفهم حيث إنه يرى أن نيتشه يتحدث عن عظمة الإرادة ، وثراء النفس، والمعرفة ويستدل كوبر على أن نيتشه لا يتحدث عن دكتاتورية الصفوة - في نقل يوهم بذلك - بالاعتبارات التالية : ١- أن الشريع في الأرستقراطية الجديدة تشريع ذاتي ؛ ٢- قوة الفلاسفة هي القوة المبدعة لإعادة التقويم، وبناء النظريات، والتحوط من تدني المستوى في القيم والأفكار ؛ ٣- إن نيتشه ضد الحقوق المتساوية ، وحكمة العامة، والسعادة العامة، وليس ضد المؤسسات الديمقراطية. ونحن لا ننكر أن نيتشه كان معاديا للديمقراطية ،ولكن الحجج الأساسية التي أقام عليها اعتراضاته على الديمقراطية يمكن قبولها في الديمقراطية الليبرالية، دون حاجة إلى استبعادها من مفهوم الإنسان الأعلى . ومن أهم أسس اعتراضاته على الديمقراطية ما يلي : ١-اعتقاده في أن الأفراد ليسوا متساوين، وليس كل الأفراد قادرين على البلوغ إلى مستوى الإنسان الأعلى إلا إذا عاشوا في مجتمع أرستقراطي؛ ٣- عناية الديمقراطية بالحرية والمساواة تقلل من قدرة الأفراد الممتازين على الصعود والتجاوز. إن هذه الافتراضات المبثوثة في جميع أعمال نيتشه تبدو معارضة للحياة الديمقراطية والتربية الديمقراطية ، ولكن التدقيق فيها لا يكشف عن تعارضها مع الديمقراطية الليبرالية. فلقد أكد "جيمس مل" في كتابه عن "الحرية (١٩٧٤) ضرورة وجود مجتمع ارستقراطي تنمية للعبقرية ، ووقية من المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها الأصالة بسبب القيم الديمقراطية. إن وصف "مل" للمخاطر الناجمة عن الديمقراطية مماثل لوصف نيتشه لها ، ولكن نيتشه دافع عن الأرستقراطية بينما

دافع "مل" عن الديمقراطية مع التوقي من المخاطر الناجمة عنها. ولم يختلف موقف جون ستيوارت مل المفصل في دراسة عبد المجيد شيحة ، وشيخة المسند (١٩٩٥) عن موقف نيتشه بصفة عامة، بل إن كثيرا من أفكار " مل " مستمدمن نيتشه. ومعنى ذلك أن اعتراضات نيتشه ضد الديمقراطية لا تتعارض مع الديمقراطية الليبرالية . كما عرضها جيمس مل وجون ستيوارت مل ، وبالتالي يمكن قبول مفهوم نيتشه عن الإنسان الأعلى باعتباره هدفاً تربوياً في مجتمع ديمقراطي. وفيما يلي نناقش طريقة نيتشه التربوية من خلال تحليل كتابه " هكذا تكلم زرادشت ".

ب - طريقته التربوية :

سوف نناقش الطريقة التربوية لنيتشه من خلال تحليل كتابه "هكذا تكلم زرادشت" (١٩٠٥) وهذا الكتاب من أهم أعمال نيتشه وأكثرها تعبيرا عن فلسفته وشخصيته. تقول فورستر نيتشه (١٩٠٥، ص ix): " زرادشت أكثر أعمال أخى تعبيراً عن شخصيته . إنه تاريخ خبراته الفردية وصداقاته ومثله وأفراحه وأتراحه" . ويقول جوردون Gordan (١٩٨٠، ص ١٨٢) : " إن هكذا تكلم زرادشت" يعتبر من الناحية التربوية وصفا لمحاولات زرادشت تعليم أصحابه كيف يتطورون ويغيرون من معتقداتهم ". ولقد أشار مارتن هيدجر Heidgger (١٩٦٧) في مقالة له بعنوان " من هو زرادشت نيتشه" إلى أن زرادشت مدافع عن الحياة والمعاناة ومعلم الإنسان الأعلى، ولكنه لم يشر إلى طريقة زرادشت في التعليم ولا إلى كيف أثرت عقيدته في عمله باعتباره معلما. إن "هكذا تكلم زرادشت" لم يقدم فقط تعاليم زرادشت وأفكاره ، بل قدم طريقته في نقل أفكاره، والمشكلات التي صادفها باعتباره معلما صاحب عقيدة. لقد اكتفى هيدجر بعرض تعاليم زرادشت ، ومن ثم أجاب إجابة جزئية عن سؤاله : " من هو زرادشت؟" إن تعاليم زرادشت ومعتقداته عن الإنسان الأعلى هي رسالته وطريقته في الحياة، ونضج زرادشت وازداد حكمة من خلال استجابته لمتطلبات تلك الحياة. وتتبع نيتشه للنمو الشخصي لزرادشت هو طريقته في الإجابة عن السؤال

" من هو زرادشت؟" " إن مقالة هيدجر أغفلت الجانب الأساسي لوجود زرادشت ، الذي يتمثل في كونه معلما يتعلم من تجاربه كيف يعلم تلاميذه عقيدة الإنسان الأعلى. وفيما يلي محاولة لبيان ملامح الطريقة التربوية لنيتشه كما تبدو من خلال تتبع مراحل نمو زرادشت .

وكتاب نيتشه " هكذا تكلم زرادشت " مؤلف من أربعة أجزاء ففي الجزء الأول من الكتاب، يرجع زرادشت إلى النوع الإنساني، بعد عشر سنوات قضاها في عزلته، ليطلعهم على عقيدته، ويترك لهم الخيار في قبولها أو رفضها. ونظرا لإخفاقه في إقناع العامة برسالته، تركهم ، وذهب يبحث عمن يسمعه ويأخذ عنه. والجزء الثاني من الكتاب معنى باكتشاف ما يحول دون بلوغ الناس إلى مرتبة الإنسان الأعلى. وفيه دعوة إلى التحرر من العطف، والاختلاط بالعامة، والأخذ عن الآخرين . إن زرادشت يُحمل الناس مسئولية البلوغ إلى الإنسان الأعلى بأنفسهم، ولذلك يحجم عن تقديم تعاليمه لهم، ويكتفي بإغرائهم بالسير في طريق الإنسان الأعلى. وفي الجزء الثالث من الكتاب، يؤكد زرادشت أن جوهر طبيعة الإنسان الأعلى يتمثل في قدرته على الاستجابة لمصيره الشخصي، ومواجهة صعوبات الحياة بنفس روح زرادشت المرحة المتفائلة. وفي الجزء الرابع، يعترف زرادشت بفشله في العثور على أشخاص قادرين على تجاوز أنفسهم أو الانتصار عليها ، وأن أكثرهم احتمالا في البلوغ إلى مستوى الإنسان الأعلى لم ينموا بعد إلى الحد الذي يؤهلهم للأخذ عنه. وأخيرا يترك زرادشت عالم الإنسان ويعود إلى عزلته ليفكر في أخطاء طريقته. هذه هي الأفكار العامة المتضمنة في أربعة أجزاء " هكذا تكلم زرادشت". وفيما يلي محاولة للكشف عن الملامح الأساسية لطريقة زرادشت ، وبيان للمبادىء والأفكار التربوية المتضمنة فيها ، باعتبارها تعبيرا حيا عن طريقة نيتشه في تربية الإنسان الأعلى .

يطالعنا استهلال " هكذا تكلم زرادشت " بعودة زرادشت إلى النوع الإنساني، ليعلم أفراده طريقة جديدة في الحياة، تختلف عن طريقة حياة القطعان التي يحيونها ،

ويدعوهم إلى أن يكونوا معابر للإنسان الأعلى. وفي طريق عودته (الاستهلال، ف٢) يلتقى زرداشت براهب في الغابة غادر كوخه بحثا عن طعامه، وحينما وصل زرادشت إلى المدينة المجاورة على تخوم الغابة (الاستهلال، ف٣) وجد جمهورا عظيما يتجمع في ساحة البيع والشراء انتظارا لمشاهدة بهلوان - وراح البهلوان يمشى على حبل ممدود بين برجين، معلقا فوق ساحة البيع والشراء وفوق الجمهور (الاستهلال،ف٥) ، ولم يكد البهلوان يصل إلى منتصف طريقه على الحبل حتى زلقت رجلاه فسقط ولم يمت. وأخذ زرادشت يدعو هؤلاء الناس إلى عقيدته، ويعلمهم أن الإنسان شيء يجب تجاوزه، ويسألهم عما فعلوه لتجاوزه. أما الراهب فقد أخمد حبه للإنسان ، واستبدله بحب الرب، لأن حبه للإنسان يعرض طريقة حياته للخطر، وأما العامة فقد سخروا من زرادشت لأنه أنكر عليهم وجودهم وطريقة حياتهم فلم يأذنوا له. ولم يحاول التعلم من زرادشت سوى البهلوان الذي أراد أن يعرف سبب سقوطه . يترك زرادشت هذا الجمع لعجزهم عن فهمه والأخذ عنه، ويبحث عن رفاق مبدعين راغبين في التخلي عن حياة القطيع، وقادرين على عبور الطريق إلى الإنسان الأعلى (الاستهلال، ف٩) ويطلق زرادشت على هؤلاء الرفاق صفات مثل : هم "رفاق إبداع ينقشون قيما جديدة على ألواح جديدة"، وهم "رفاق حصاد يعرفون شحذ مناجلهم ، ويسمون هدامين، ومزدرين للخير والشر"، وهم "الأخيار والعادلون والمرحون"، ويخص زرادشت هؤلاء المبدعين بأحاديثه، ويقدم لهم طريقته في التعلم الذاتي (الاستهلال، ف٩).

ويشير نيتشه في الجزء الأول من الكتاب (الفقرة ١) إلى ثلاثة تحولات يجب أن يمر بها الإنسان ليبلغ إلى مستوى الإنسان الأعلى هي : ١- التحول من الطاعة السلبية للجمل؛ ٢-قلب القيم البالية بشراسة الأسد؛ ٣-خلق القيم الجديدة بأصالة الطفل. فالأثقال التي يحملها الجمل ترمز إلى القيم القديمة البالية، وطرح الأثقال يرمز إلى قلب القيم التي تحول بين الإنسان وقواه الدافعة، أو تحول بينه وبين التغلب على مخاوفه من رفض تلك القيم . وبذلك يكتشف الإنسان أن لديه قوة أكبر مما كان

يتصور واكتشاف الإنسان لمصادر قوته ينقله إلى المرحلة الثانية من مراحل التحول، وهي روح الأسد ، الذي يرغب في اقتناص حريته ، والسيادة على غابته. ولكي يحصل الأسد على حريته، يجب أن يصارع التنين ، الذي يرمز إلى قوة التقاليد، التي تحول بين الإنسان وبلوغ حريته. وهكذا يحمل التحول الثاني الشجاعة والقوة في الإمساك بالحرية، ومقاومة التقاليد البالية. وحينما يتعلم الإنسان أن يحيا بشجاعة مع حريته، يحدث التحول الثالث، فتصير الروح طفلا، يرتبط بالعالم، ويخلق قيمه، وإرادته، وعالمه الجديد. وفي أربع الفقرات التالية (الفقرات ٢، ٣، ٤، ٥) يهاجم زرادشت معلمي قيم القطيع ، ويسخر من شاغلي كراسي القيم القديمة، والداعين إلى العالم الآخر ، ويتهكم على المستخفين بالبدن، والمتشدقين بالفضائل. ونستطيع أن نميز هنا ثلاثة أهداف تربوية هي : ١- بيان زرادشت لبعض الاتجاهات التي ينبغي للإنسان تجنبها اذا أراد البلوغ إلى الإنسان الأعلى؛ ٢-تعبئة زرادشت لتلاميذه ومريديه بالطاقة الروحية التي تعينهم على المرور بالتحولات النفسية ؛ ٣-تقديم زرادشت لأسلوب تعليمه إلى تلاميذه ، ذلك الأسلوب الذي يعتمد على تجاربهم ، ويعينهم في الكشف عن المشكلات التي تهدد وجودهم، وفي الفقرة السابعة، يتحدث زرادشت عن أسلوبه في التعليم. فهو لا يحب كسالى القراء، ويدعو تلاميذه إلى التحرر ، والمرح، والتفكير، والتنقل كالفراشات بين الحكم، ويكره إليهم الثبات،والثقل، وقبول الذات باعتبارها نتاجا نهائيا. إن زرادشت يدعو تلاميذه إلى تحسين اتجاهاتهم نحوالحياة بصفة عامة حتى يتسنى لهم الاستمتاع بالسعادة كالفراشات.

وكان زرادشت محبا لتلاميذه، يعني بأمورهم الشخصية، ويعينهم في التغلب على المشكلات التي تعترض طريقهم أو المصاعب التي تصادفهم في تحولاتهم النفسية. ففي الفقرة الثامنة ، يحكى زرادشت قصة الشاب الذي أراد أن يتجاوز حدود الإنسانية ، ووجد صعوبات تتعلق بوجوده وإرادته، فشكا إلى زرادشت قائلا : "إن احتقاره ورغبته يزيدان معا، وكلما ارتفع يزداد احتقاره لمتسلقي المرتفعات" ، فأكد له

زرادشت أنه قبل وجوده الراهن ، وارتضى قيمه البالية، وبين له أخطاءه . فالحقد لا النبل هو الذي دفع الشاب إلى تسلق المرتفعات، والحقد يقود إلى رفض أفضل ما في الذات. وأحاط زرادشت تلميذه بالحب ، وعانقه ، وأخبره أن الرغبة وحدها لا تحرر الإنسان من روح الانتقام ، وأن على الإنسان أن يعتمد على الحب والأمل، والقدرة على خلق حياة جديدة وقيم جديدة. ومن خلال هذا الحوار ، أعان زرادشت تلميذه على تنقية ذاته، والتعرف على أخطائه، وأرشده إلى التذرع بالأمل، والمجاهدة والكفاح بلوغا إلى الوجود المبدع النبيل. وبعبارة أخرى، علم زرادشت تلميذه الأصالة والإبداع عن طريق قيادة نموه، وإتاحة الفرصة أمامه لتبنى اتجاه جديد نحو الحياة والوجود. وعلى هذا النحو يقترب الشاب من عقيدة الإنسان الأعلى . ويبين زرادشت في الفقرة التاسعة، أن الذين يدعون إلى العالم الآخر غير قادرين على تحمل مصاعب الحياة، ويصفهم بعبارات مثل: " هم سل الحياة" ،"إنهم ماتوا بعد الولادة مباشرة" و" إنهم يقولون : إن الحياة متهافته ، وهم في الحقيقة متهافتون" و"إنهم لا يفكرون إلا في الأسباب المفضية إلى الموت". وفي الفقرة العاشرة يعلي زرادشت من شأن الحياة ، ويوصي بالكفاح من أجلها، ويرى أن أفضل ما في الإنسان يبدو في الكفاح من أجل الحياة. ومن ثم امتدح زرادشت خلق القوة والشجاعة والحرب وكل ما يعين على مغالبة الحياة. يقول زرادشت (ص٤٧) : " سوف تحبون السلام كوسيلة لحروب جديدة، والسلام القصير خير من السلام الطويل"، ويضيف (ص٤٨) " قد تقول إن السبب الجيد هو الذي يرحب بالحرب، وأقول لك : إن الحرب الجيدة هي التي ترحب بكل سبب " إن تأييد زرادشت للحرب تأييد لقيم الحياة . فالحياة في رأيه صراع ومغالبة وجد واجتهاد . ولعل ذلك يبدو من قوله (ص٤٨) : "اجعل حبك للحياة حبا لأرفع آمالك واجعل أرفع آمالك أفضل فكرة عن الحياة، وأرفع أفكارك "الإنسان شيء ينبغي تجاوزه " وبعد فضحه للزاهدين في الحياة قدم زرادشت مقترحات تعين على تحقيق الذات واكتشاف أفضل ما فيها . وهكذا نجد فقرتين تهاجمان القطيع وقيمه البالية هما " الصنم الجديد"

(ص ص ٤٩-٥٢)، و"ذباب السوق" (ص ص٥٢-٥٥)، وفقرتين تعلمان الإنسان كيف يحيا مع نفسه ومع صديق مخلص، هما " العفة " (ص ص٣٦-٣٧) و"الصديق"(ص ص٣٧-٣٩).

إن عناية زرادشت بإرشاد تلاميذه إلى الكفاح من أجل مصيرهم الشخصي دفعته إلى تركهم يتعلمون من أخطائهم . ومن خلال ارتكابهم للأخطاء يكتشفون أنفسهم ، ويتعرفون على قدراتهم وإمكاناتهم. ولعل هذا يبدو من رفضه للقانون القديم المليء بالأوامر والنواهي (لا تسرق، لا تقتل، لا تزن، أحبب جارك...إلخ)، ودعوته إلى قانون جديد يرشد إلى طريق الحياة ويخلو من الأوامر والنواهي. إنه مجرد وصف لطريق الإنسان الأعلى (انظر الفقرة رقم ٥٦) وهنا نلاحظ تقاربا بين طريقة زرادشت وطريقة سقراط في البلوغ إلى أهدافهما ، غير أن سقراط اعتمد على وسائل منطقية، واعتمد زرادشت على عناصر سيكولوجية . كان سقراط يبين لمحاوره أن اعتقاده في أمر ما (أ) يوجب اعتقاده في أمر آخر (ب) ، والاعتقاد في (ب) يكون غير مقبول لمحاوره، ويشتمل على اتجاهات أو حقائق أو قيم يريدها سقراط. وبالمثل ، حاول زرادشت أن يبين لتلاميذه أن قيمهم الأساسية ترجع إلى ظاهرة سلبية، وأن التأثيرات السيكولوجية لتلك القيم غير مرغوبة، وبالتالي يحاولون التخلص منها لما لها من آثار ضارة تعود على الفرد والمجتمع جميعا. وهكذا نجد زرادشت يحاول في الجزء الأول من الكتاب إثقال كواهل تلاميذه بوعي جديد لموقفهم الوجودي ومصيرهم الشخصي. ومن المكرور أن نقول : إن التحولات السيكولوجية المتضمنة في أول فقرة من فقرات الجزء الأول من " هكذا تكلم زرادشت هي مفتاح فهم الجهود التربوية لزرادشت ، ومدار اهتمامه في سائر أجزاء الكتاب، وفي الجزء الثاني من الكتاب يعني زرادشت بتعليم تلاميذه كيف يحيون مع الحرية التي اكتسبوها نتيجة لمرورهم بالتحول الأول. لقد تعلموا أن يقولوا : " إننا نريد" ، ويعبروا عن إرادتهم بطريقة إبداعية . إن الحياة بطريقة إبداعية هي الطريق الذي يقرب الإنسان من عقيدة الإنسان الأعلى .

ولقد علم زرادشت تلاميذه طريقة حياة تعين على تحررهم من روح الانتقام التي تفسد الإبداع .

ويبدو الاتجاه التربوي لزرادشت في الفقرة الثالثة والعشرين، المتضمنة في الجزء الثاني من "هكذا تكلم زرادشت " وهي بعنوان " الطفل والمرأة" . وتصف هذه الفقرة حلما وقع لزرادشت ، مفاده أن طفلا يحمل مرآة جاءه وطلب إليه أن ينظر إلى نفسه في المرآة ، فاستجاب زرادشت ونظر في المرآة، ولكنه لم ير وجهه ، بل رأى " سخرية الشيطان واشمئزاره" إن هذا الحلم كشف لزرادشت عن موقفه، وعلمه ما ينبغي فعله. لقد تعلم زرادشت من هذا الحلم أن على الشخص أن يكون قادرا على رؤية نفسه ، إذا إراد أن يعرف كيف يستجيب لموقفه الوجودي بطريقة إبداعية، حتى وإن كانت تلك الرؤية شائهة. ومن ثم لعب زرادشت دور الطفل صاحب المرآة - على امتداد الجزء الثاني من الكتاب- لكي يعين تلاميذه على رؤية أنفسهم ، والاستجابة لمواقفهم الوجودية بطريقة إبداعية، وليس مصادفة أن يأتي طفل يحمل مرآة إلى زرادشت ، فالطفل هو التحول الثالث، أو البداية الجديدة، أو القدرة على الخلق. ومن ثم كانت كل فقرة من فقرات الجزء الثاني من الكتاب بداية جديدة في علاقة زرادشت بنفسه، وبرسالته، وبتلاميذه. لقد لعب زرادشت دور الطفل ذي المرآة، من خلال وصف علاقته الشخصية بموضوع كل فقرة من فقرات الكتاب. ومن خلال وصف زرادشت لذاته أرشد تلاميذه إلى ما ينبغي أن يلاحظوه في أنفسهم، وفي موقفهم. وفي معظم مقالات الجزء الثاني يعني زرادشت بالكشف عن معوقات الإبداع عند الأعداء والأصدقاء على السواء. فخصوم الإنسان قد يعوقون محاولاته في الاستجابة الإبداعية لموقفه الوجودي، أو يحولون دون نشر تعاليمه، ولكنهم قد يعينونه في الآن عينه على اكتشاف ذاته، ومعرفة نقاط قوته وضعفه. وقد يكون الأصدقاء أو الأشخاص الذين نحبهم عوائق تحول دون البلوغ إلى الحياة الإبداعية، ولذلك أرشد زرادشت تلاميذه إلى مقاومة الضغوط التي تدفع إلى الرحمة، ومقاومة الرغبة في الاختلاط بالآخرين، أو التعلم منهم والأخذ

عنهم. ومن خلال تبني هذا الاتجاه يعود الإنسان إلى وحدته الملهمة التي وصفها زرادشت في الفقرة الحادية والثلاثين ، وهي بعنوان "أغنية الليل" (ص ص ١١٣-١١٥) . و"أغنية الليل" نقطة تحول جديدة في علاقة زرادشت بتلاميذه. فالأغنية ليست مجرد وصف لموقف وجودي تغلب عليه الوحدة التعسة والعجز عن استمداد المساعدة من الآخرين، بل هي طلب للمساعدة من تلاميذه ومريديه. ومن خلال طلب المساعدة، بين زرادشت لتلاميذه أنهم يستطيعون أن يكونوا مرايا تعكس نقاط قوته وضعفه في أداء مهمته، ويؤازروه في لحظات عجزه ويأسه. ولقد استطاع أحد تلاميذه أن يعينه بالفعل على فهم موقفه الوجودي، من خلال تفسيره لحلم وقع لزرادشت ، متضمن في الفقرة الحادية والأربعين ، وهي بعنوان " العراف" (ص ص ١٤٦-١٥٠) ومفاد الحلم أن زرادشت رأى نفسه حارس مقابر في وادي الأموات ، تلفه الوحدة ، ويحيط به أسوأ الصديقات، ويستيقظ زرادشت على صوت بكائه. فسر التلميذ الحلم من واقع حياة رزادشت ، وساعده في القيام من مرقده ليؤدي رسالته. والدرس التربوي المتضمن هنا هو أن التلاميذ يستطيعون إعانة معلميهم ومؤازرتهم ، إذا كانوا واعين بقدرتهم على فهم معلميهم ومدركين لحريتهم في نقدهم .

وفي مقالته عن زرادشت أكد هيدجر Heidgger (١٩٦٧) أن زرادشت أشار إلى طريق الإنسان الأعلى، ولم يأمر بالسير فيه. وهذا موافق تماما لطريقة زرادشت في تعليم تلاميذه. إنه لم يحاول إجبارهم على الالتزام بخطة معينة في تفكيرهم وسلوكهم. ومن الخبرات المعلمة التي وقعت لزرادشت ما هو متضمن في الفقرة الرابعة والأربعين من "هكذا تكلم زرادشت" (ص ص ١٥٩- ١٦٣) حيث رفض زرادشت أن يوصي تلاميذه بالأشياء العظيمة التي ترشدهم في سلوكهم ، ويقول زرادشت (ص ص ١٦١-١٦٢) :" إن تنفيذ الأمور العظيمة صعب، وأصعب منه أن تأمر بالأشياء العظيمة" ومعنى ذلك أن زرادشت أحجم عن الإدلاء بأوامره ونواهيه، على الرغم من إدراكه لأهمية تلك الأوامر والنواهي في إرشاد تلاميذه إلى الطريق الذي ينبغي أن

يسلكوه . ويبدو أن علاقته الحميمة بتلاميذه عاقته عن توجيه الأوامر والنواهي لهم . لقد اعترف زرادشت بعجزه وعدم قدرته على أمر تلاميذه ، وكان عليه أن يعود إلى معتزله ليجمع قوته وشجاعته ، ويبدأ مرحلة جديدة من مراحل نموه. وحينما حان وقت الرحيل بكي زرادشت بصوت مسموع، ولم يستطع أحد من تلاميذه تهدئته. وفي تلك الليلة ذهب زرادشت بمفرده ، وترك تلاميذه، على الرغم من كراهيته لفراقهم، ولكنه شعر بنقص إعداده وافتقاره إلى ما يقدمه لتلاميذه. وفي الجزء الثالث من الكتاب "هكذا تكلم زرادشت " تعلم زرادشت أن جوهر الإنسان الأعلى يتمثل في الاستجابة لتحديات الموقف الوجودي والمصير الإنساني، وأن أول خطوة على الطريق هي قبول مصير المتجول الهائم، الذي يترك أصدقاءه، ويبحث في عزلته عن أقصى ارتفاع لوجوده الشخصي (ص ص ١٦٧-١٧٠) لقد أصبح زرادشت على وعي بالمخاطر، ولكنه تعلم تجاوزها، واستقر في وعيه أن البلوغ إلى العظمة يوجب التضحية ويبرر العذاب . والموقف التربوي المتضمن هو أن زرادشت يصف الطريق إلى العظمة، ويدعو الناس إلي الاسترشاد به، والكفاح من أجل الوصول . إن زرادشت يتحدث عن الصعوبات التي صادفها في الصعود، آملا أن يقتدي به الراغبون في تجاوز أنفسهم والانتصار على ذواتهم، فلا يتورعون عن استخدام كل وسيلة للصعود، يقول زرادشت (ص ١٦٨) : "فإن عجزت أرجلهم عن حملهم صعدوا على أرؤسهم ". لقد أعد زرادشت نفسه لمواجهة مصيره الشخصي من خلال بحثه عن فهم جديد لنفسه، ولعلاقته بالعالم . وبالرغم من أن هذا البحث أدى إلى أحجية - كما هو واضح في الفقرة السادسة والأربعين ، وهي بعنوان " الرؤية والأحجية " - فقد علمه مواجهة نفسه، والاستماع إلى صوت روحه وبدنه ، ومعرفة علاقتهما بالطبيعة ، والناس والوجود . أن هذا الاستماع وذلك الإحساس - اللذين يظهران في الجزء الرابع من الكتاب - يقودان زرادشت إلى سبر أغوار ذاته ووجوده. وفي "الرؤية والأحجية" يدعو زرادشت إلى الرؤية ، والإحساس ، والفهم ، والتعالي، والسمو، والشجاعة في

الصعود. وفي الفقرة الستين ، وهي بعنوان " أغنية نعم وآمين " (ص ص ٢٥٦-٢٦٠) يعبر زرادشت عن حبه للأبدية ورغبته في البلوغ إليها، ويصف سبع لحظات من الشجاعة والكشف تتجاوز وجود الإنسان وعصره .

سادساً : ملاحظات على فكره الفلسفي والتربوي :

يبدو من القراءة العميقة لأعمال نيتشه أن له فكرا فلسفيا متسقا فهو يقدم مجموعة من الأفكار المترابطة التي يتعذر الفصل بينها . فلقد ضاق ذرعا بالثقافة العدمية السائدة في عصره، فأراد استبدالها بثقافة إثباتية جديدة. ولما كانت الثقافة القديمة تقف عقبة في طريق الثقافة الجديدة، انتقد نيتشه الثقافة القديمة ليوفر للثقافة الجديدة أسباب النماء. ونظرا لأن الثقافة الأوربية في عصره اعتمدت على النصرانية اتهم النصرانية ، وقضى على فكرة الألوهية، وأعلن موت الرب، وأحل محله فكرة الإنسان الأعلى. ومجيء الإنسان الأعلى استلزم موت الرب، والقضاء على القيم البالية، والثقافة المعاصرة . وهذا ما فعله نيتشه. وفيما يلي نقدم عددا من الملاحظات على بعض جوانب فكره الفلسفية والتربوية .

أ - ملاحظات على فكره الفلسفي :

١- لم يسلم عمل من أعمال نيتشه من النقد إلا كتابه " هكذا تكلم زرادشت " وترجع أغلب الانتقادات إلى سوء الفهم الناشيء عن إيهام نيتشه بالتناقض، وغموض لغته، وإسرافه في الرمزية، وبالرغم من اشتمال " هكذا تكلم زرادشت " على كل فلسفة نيتشه، فقد سلم من النقد لأنه أكثر أعماله غموضا وأقلها انفتاحا للفهم .

٢- يعتبر نيتشه رائداً من رواد الفلسفة الوجودية المعاصرة، فقد سبق إلى التعبير عن خصائصها حين هاجم القيم المفروضة من هيئة عليا سواء أكانت دينية أم علمانية ، وارجع القيم كلها إلى الإنسان ، وربط الفلسفة بالحياة، وجعل الحقيقة إنسانية وليست ميتافيريقية .

٣- نجح نيتشه في كشف الزيف الذي لحق بالمفهوم الكنسي للنصرانية، وما أدى إليه من انحلال وعدمية. إن نقده لم يكن موجها للنصرانية بما هي كذلك ، بل إلى الصياغة التي قدمها القديس بول للنصرانية، وبخاصة مفهومه عن الألوهية. ولعل ذلك يبدو من الفقرة السابعة والأربعين المتضمنة في كتابه "ضد المسيح" (١٩٦٨، ص ٦٢٧) حيث يقول : " إن الإله الذي خلقه بول هو الإله الذي يهدم حكمة العالم ".

٤- عنى نيتشه بالبحث في أصل المفاهيم الخلقية والمثل العليا، وتطورها عبر التاريخ مستخدما طريقة الوصف الذي اتبعها الفلاسفة التطوريون من أمثال سبنسر وستيفن وألكسندر. وفلسفة الأخلاق لا تعني بالوصف، بل بتقويم المقاصد والغايات، والمفاضلة بين الوسائل، وتبرير السلوك.

٥- طبق نيتشه قانون الانتخاب الطبيعي على القيم والمعايير الخلقية، ولكن السلوك الخلقي لا يبرر بموافقة ما هو طبيعي ، ولا يمكن الاعتماد على الطبيعة أو الانتخاب الطبيعي في المفاضلة بين القيم، لأن بعض القيم تسود - لا لأنها أفضل، بل لأن هناك قوى تساندها. والتطور والانتخاب الطبيعي يتعلقان بما هو كائن، ولا علاقة لما هو كائن بما ينبغي أن يكون . هذا فضلا عن أن نيتشه نفسه يعتقد أن الطبيعة تتحيز ضد أفضل عناصرها، ومن ثم يقترح الاعتماد على الانتخاب الصناعي والتربية .

٦- لقد اعتقد نيتشه أن القوة أو إرادة القوة هي جوهر الوجود. والقوة في ذاتها ليست غاية ولا قيمة لها، ولكن قيمتها تعتمد على قيمة الموضوع الذي تخدمه. كما أن الغضب ، والقسوة، والانتقام ، انقياد لغريزة الحيوان، وكتم الغيظ ، والعفو والتسامح أصعب من الانتقام. وليس الحب والإحسان والمعرفة صفات سلبية كما يدعى نيتشه، لأنها تستطيع أن تملأ حياة العظماء. هذا فضلا عن أن القوة والسلطة ليستا مطلبا لكل الناس .

٧- أكد نيتشه أن الأرستقراطية هي الشرط الضروري لنمو العبقرية . وينبغي إن نذكر نيتشه بأن كثيرا من العباقرة نشأوا في أوساط غير أرستقراطية فسقراط ابن قابلة، وفوليتر ابن حجام، وشكسبير ابن جزار ، وجيمس مل ابن صانع أحذية. وليس هناك مسوغ عقلي لإيثار الأرستقراطية على الديمقراطية . فالقضية قضية إمبيريقية ، وتكشف الدراسات الإمبيريقية أن الأجواء الديمقراطية أنسب لتنمية العبقرية والإبداع.

٨- حمل نيتشه على الميتافيزيقا حملة شعواء، ويبدو أن الميتافيزيقا كانت تلخص في رأيه (نقلا عن فؤاد زكريا ، ١٩٩١، ص ٧٠) " كل ما خلفه ماضي العقل الإنساني من أخطاء" فالطابع المطلق للميتافيزيقا ، والصفات الأزلية التي تنسب إليها، يجعلها تعلو على الأفهام الإنسانية، ولا سبيل في رأيه إلى البرهنة على صحة قضاياها. وبالرغم من نقد نيتشه للميتافيزيقيا ظل ميتافيزيقيا إلى الحد الذي جعله يعتقد أن إرادة القوة هي الحقيقة النهائية للعالم . ومما ينبغي الإشارة إليه أن نقد نيتشه للميتافيزيقيا قريب من نقد المذهب الوضعي، الذي يؤكد أنه لا سبيل إلى التحقق من القضايا الميتافيريقية .

٩- أكد نيتشه أن أصل المعرفة يرجع إلى عوامل غير عقلية كالنفع الحيوي، وأن أصل الحقيقة هو الخطأ والبطلان ، فهل يؤثر ذلك على المعرفة في شكلها النهائي؟ إن نيتشه يعترف بأن هذا الأصل قد نسى، ولم يعد العقل يستحضره الآن ، وبالتالي لا قيمة لهذا الكشف . وينبغي أن نقدر الأمور تبعا لقيمتها الذاتية، وما لها من خصائص في شكلها النهائي، لا بالرجوع إلى أصلها. إن نيتشه نفسه يؤكد في كتابه "الفلسفة في العصر المأساوي الأغريقي" (١٩٨٣، ص ص ٤٠-٤١) أن المسائل المتعلق بأصول الفلسفة غير مهمة " لأن ما يهم في كل الأشياء إنما هي الدرجات الأعلى ... إن الطريق الذي يرجع إلى الأصول يؤدي في كل مكان إلى البربرية" ومن ثم يمكن أن نقول إن رد نيتشه المعرفة إلى

أصوها الأولى لا معنى له، فضلا عن مخالفته لإرشاداته المنهجية .

١٠- وأخيراً ، لا يمثل موقف نيتشه من المرأة حقيقة رأيه. ويبدو أنه كان يردد آراء اليونانين، وآراء روسو في المرأة ، بدليل تقديره الكبير لشخصيات مثل لوسالومي وكوزيما فاجنر، وسعيه إلى زواج قائم على الحب من لوسالومي ، أخفق فيه . هذا فضلا عن أن تصريحات نيتشه عن المرأة عرضت كما لو كانت حقائق ، غير مؤيدة بدليل عقلي أو إمبيريقي .

ب - ملاحظات على فكره التربوي :

١- كانت المشكلة الأساسية التي تصدى نيتشه لحلها هي نفس المشكلة التي واجهت الإغريق والرومان في العصور القديمة والوسطى، وما تزال تواجه جميع المجتمعات في الوقت الراهن - مشكلة التوفيق بين الحرية الفردية والنظام الاجتماعي، أو مشكلة الأصالة والانتصار على الذات، وهي مشكلة ينبغي حسمها تحقيقا للتكامل الشخصي والاستقرار الاجتماعي. وقد استطاع نيتشه حسمها استناداً إلى أسس نفسية.

٢- كان حل نيتشه لمشكلة التعارض بين الأصالة والانتصار على الذات من أعظم إسهاماته في مجال الطبيعة الإنسانية وفي مجال الصحة النفسية بصفة عامة. لقد سبق فرويد في تصوره للجهاز النفسي باعتباره مؤلفا من الهى، والأنا، والأنا الأعلى. فبربرية ديونسيوس تناظر الهي عند فرويد، وعقلانية أبولو تناظر الأنا الأعلى. وحاول نيتشه إضعاف الأنا الأعلى، ليمهد الطريق إلى تلقائية الفرد وأصالته. إنه لم يدع إلى القضاء على الأنا الأعلى، بل أرشد الإنسان إلى اختيار موضوعات تطابقه ، ومن ثم اختلف نيتشه عن فرويد فيما يتعلق بالاستدخال. فالاستدخال عند فرويد مفروض بالظروف الاجتماعية والمؤسسات التعليمية، ويتم على مستوى لا شعوري، ولكن نيتشه لا يسلم بهذه الحتمية التي لا تترك مجالا للحرية الشخصية والأصالة الإنسانية. إن

نيتشه يري أننا مسئولون عن وجودنا أمام أنفسنا، والتالي لا يسمح للصدفة أن تفسد وجودنا، ويدعونا إلى اختيار معلمينا (انظر مقالته عن شوبنهور، ١٩٦٥).

٣- مهد نيتشه للفلسفة الوجودية والاتجاهات السيكولوجية الحديثة التي تدعو إلى الأصالة والتلقائية والتعبير عن الذات. إن تأكيد نيتشه على أهمية الوعي بالذات وحرية التعبير عنها ، والتلقائية ، والمعرفة عن طريق الخبرة، ونسبية القيم، والاختيار الحر، والمسئولية الشخصية، والطريقة الليبرالية في التعليم ، والعناية بالتلميذ الفرد، وضرورة البدء من الموقف الوجودي للمتعلم، أصبح من المقومات الأساسية للفلسفة الوجودية. ولقد تأثر علماء علم النفس الإنساني بالاتجاهات التي أكدها نيتشه، ومن ثم كانت عنايتهم بالحياة الداخلية والأهداف الوجدانية والطرق الذاتية في التعليم ، والاتجاهات الشخصية في التعامل مع التلاميذ .

٤- أراد نيتشه ترقية النوع الإنساني ، والبلوغ إلى إنسان أرقى عن طريق التربية. لقد أراد أن يجعل الإنسان أعلى قيمة، وأجدر بالحياة، وأكثر ثقة بمستقبله. إنه لم يرغب في نوع إنساني جديد - لأن الإنسان في رأيه غاية ونهائية - بل في نمط جديد نصنعه عن قصد ، ونصوغه على خير مثال عن طريق التربية . يقول نيتشه في كتابه " ضد المسيح " (١٩٦٨، ص ٥٧٠): "إن هذا النمط الأعلى من الإنسان ظهر في الماضي كمصادفة سارة أو استثناء ، ولم يكن شيئا، نرغبه أو نصنعه عن قصد " ومعنى ذلك أن الإنسان الأعلى يجب أن نعده عن طريق جهودنا التربوية .

٥- عنى نيتشه بتربية الصفوة وأهمل العامة، وأرجع تدني مستوى الثقافة الألمانية إلى إتاحة التعليم العالي للجميع. ونحن نوافق نيتشه على جعل التعليم العالي وقفا على ذوى القدرات العقلية المتميزة، ولا نوافقه على حرمان العامة من

التعليم . فالتعليم العام يجب أن يكون متاحا للجميع تحقيقا للاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والثقافي. ومما هو جدير بالذكر أن مشكلة المفاضلة بين تعليم الموهوبين وغير الموهوبين ما تزال تتردد في الدوائر التربوية حتى الآن، وإن كان تعليم الموهوبين بدأ يحظى باهتمام كثير من المربين . ويبدو أن نيتشه كان متأثرا بالفكر الإغريقي وبخاصة فكر أفلاطون في تأكيده لتربية الصفوة .

٦- إن عناية نيتشه بتنمية قيم الأصالة والتلقائية جعلت اتجاهه التربوي متمركزا حول المتعلم، وحالت بينه وبين استخدام الطرق التسلطية في التعليم ، ومن ثم كان طريقته التربوية ليبرالية. ونظرا لأن نيتشه حمل كل إنسان مسئولية البلوغ إلى الإنسان الأعلى، أحجم عن تقديم تعاليمه وعقائده إلى تلاميذه واكتفى بالإشارة إلى الطريق، وترك التلاميذ يتعلمون من تجاربهم وأخطائهم. وهنا نلاحظ تأثره بروسو كما لاحظنا تأثره به في موقفه من المرأة ، وتأثره بطريقة سقراط في التعليم .

٧- أكد نيتشه أهمية محبة المعلم لتلاميذه، ومعرفة خصائصهم الشخصية، وإعانتهم في التغلب على المشكلات التي يصادفونها في حياتهم ، وأكد أهمية العلاقة الشخصية الحميمة التي ينبغي أن تقوم بين المعلمين والمتعلمين . ومما هو جدير بالذكر أن كثيرا من الأبحاث الإمبيريقية التي أجريت على الموهوبين تؤكد أهمية العلاقة الشخصية بين المعلم والمتعلم في تنمية الأصالة والإبداع لدى المتعلمين .

٨- أكد نيتشه أهمية المثابرة والكفاح وتحمل الآلام من أجل البلوغ إلى العظمة، وجعل من زرادشت مثلا يحتذيه المعلمون والمتعلمون. وفي هذا تأكيد لأهمية القدوة في التعليم ودعوة لأن يكون المعلمون نماذج يقتدى بها المتعلمون .

٩- يدعو نيتشه إلى استخدام كل وسيلة للبلوغ إلى الأهداف المرغوبة، ما خلا خيانة الصديق. وهنا نلاحظ تشابها بينه وبين مكيافلي، فالفلسفة السياسية لنيتشه

مشابهة للفلسفة السياسية المتضمنة في الأمير ، واستهدف الرجلان القوة، وكانا مناوئين للعقيدة النصرانية، وإن كان نيتشه أكثر صراحة من مكيافلي. إن رغبة نيتشه في البلوغ إلى الإنسان الأعلى جعلته يفكر في استخدام أية وسيلة تعينه في تحقيق مشروعه، ودعا تلاميذه إلى الاقتداء به " فإن عجزت أرجلهم عن حملهم صعدوا على أرؤسهم ".

١٠- وأخيراً ، نستطيع أن نقول إن إسهام نيتشه في مجال النظرية التربوية لا يقل عن إسهامه في مجالات الفلسفة والأخلاق والدين والنقد التاريخي ، ونوجه اهتمام الباحثين إلى العناية بفكره التربوي ونقده وتنميته لأن العناية بالإنسان الأعلى أو الإنسان المتفوق أصبحت قضية مصيرية وضرورة تربوية لإحراز التقدم في جميع المجالات الإنسانية .

قائمة المراجع

أولاً - المراجع العربية :

- بيار هيبر سوفرين : زرادشت نيتشه (ترجمة أسامة الحاج)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٤.
- عبد الرحمن بدوي : شوبنهاور ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٤٢.
- عبد المجيد عبد التواب شيحة وشيخة عبد الله المسند : " برتراند راسل فيلسوفا ومصطلحا ومربيا". حولية كلية التربية، جامعة قطر، العدد الثاني عشر، ١٩٩٥، ص ص ١٩١-٢٤٣.
- فريدريك نيتشه : الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي .(تعريب سهيل القش)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٣.
- فريدريك نيتشه : ما وراء الخير والشر .(ترجمة محمد عضيمة) ، (د.ن)، (د.ت).
- فؤاد زكريا : نيتشه ، ط ٣، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩١.
- كامل محمد محمد عويضة : فريدريك نيتشه (نبي فلسفة القوة) . دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٣.
- محمد سيد أحمد المسير : المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي ، وموقف الإسلام منه.ط٢، مؤسسة علوم القرآن، دمشق وبيروت، ١٩٨٤.
- مصطفى غالب : نيتشه . دار مكتبة الهلال، بيروت ، ١٩٨٣.
- ول ديورانت : قصة الفلسفة . (ترجمة فتح الله محمد المشعشع)، مكتبة المعارف ، بيروت، ١٩٨٥.
- يسري إبراهيم : نيتشه عدو المسيح . سينا للنشر ، القاهرة، ١٩٩٠.

ثانياً - المراجع الأجنبية :

- Cooper, D., " On Reading Nietzsche On Education" The Journal of Philosophy of Eucation, 1983, Vol.17, No.I, pp.119-126.
- Forster-Nietzsche, Mrs., " Introducation " in F. Nietzsche, Thus Spake Zarathustra (Translated by T. Common), The Modern Lihrary, New York, 1905.
- Gordon, H., " Nietzche's Zarathustra", The Journal of Philosophy of Education, 1980, Vol.14, No.2, pp.181-192.
- Hayman, R., Nietzsche : A Critical Life, Weidenfeld & Nicolson, London, 1980.
- Heidgger, M., " Who is Nietzche's Zarathustra ?" (Transhated by B.Magnus), The Review of Metaphysics, 1967, Vol. 20, pp. 411-431.
- Jenkins, K., " The Dogma of Nietzsche's Zarathustra", The Journal of Philosophy of Education, 1982, Vol. 16, No.2, pp.251-254.
- Mill, J.S., On Liberty, Penguin Books, New York, 1974.
- Nietzsche, F., Thus Spake Zarathustra (Translated by T. Common), The Modern Library, New York, 1905.
- ----------, Schopenhouer as Educator (Translated by Hillesheim & Simpson) Gateway , 1965.
- ----------, The Will to Power (Translated and Edited by W. Kaufmann) Vantage Books, New York, 1967.

- Nietzsche, F., " The Antichrist " in The Portable Nietzsche, (Selected and Translated by W. Kaufmann) The Viking Press, New York, 1968.
- ----------, "The Gay Science " in the Portable Nietzsche, Ibid.
- ----------, The Birth of Tragedy (Translated by W. Kaufmann) Modern Library, New York, 1968.
- ----------, Human- All-Too-Human (Translated by W. Kaufmann) Modern Library, New York, 1968.
- ----------, On the Genealogy of Morals (Translated by W. Kaufmann), Modern Library, New York, 1968.
- ----------, " The Twilight of the Idols" in the Portable Nietzsche, Op.Cit.
- ----------, Selected Letters of Friedrich Nietzoche (Translated and Edited by C. Middleton), Chicago, 1969.
- ----------, The Dawn (Trnslated by W.Kaufmann), Penguin Books, New York, 1978.
- ----------, Untimely Meditations (Translated by R. Hollingdale), Cambridge Univ. Press, London, 1983.
- Russell, B., AHistory of Western Philosophy, Simon and Schuster, New York, 1945.
- Stumpf, S. Philosophy: History and Problems, Mc Graw-Hill, New York, 1977.
- Wright, W., A History of Modern Philosophy, The Macmillen Co. New York, 1942.